آن ميلر

قلْ كلمَة واحِدَة...

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

THE WATERFALLS OF THE MOON

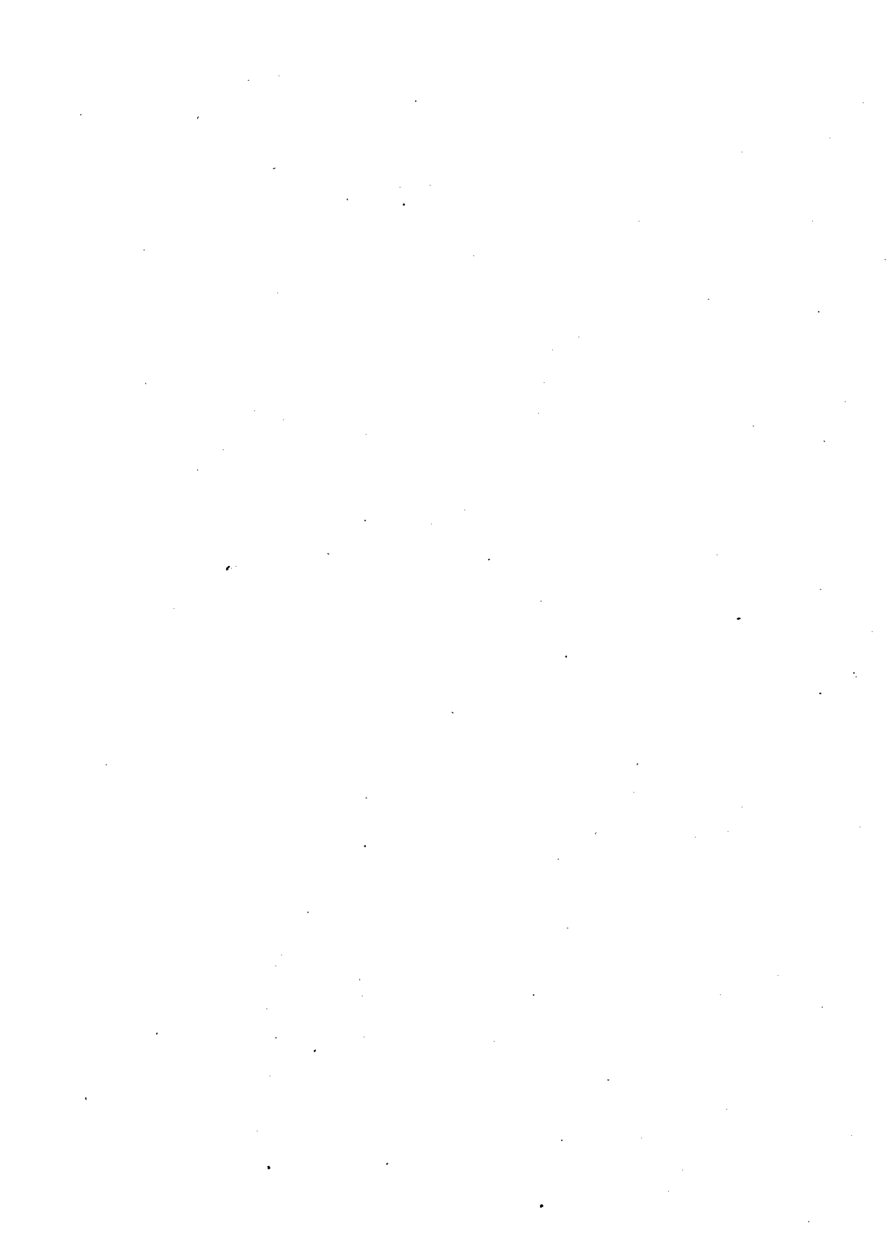


روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!



١ ـ كيف تجرؤ؟

حدقت روث بالرجل الذي دخل لتوه، حقاً ان وسامته لم تكن ملفتة للنظر، فهو شخص عادي كأي شاب رقصت معه هذا المساء. ولكن عينيه العميقتين تدلان على تجربة ونضج، ولونه البرونزي يضفي عليه هالة من الوسامة.

دخل برفقة السيد جيمس ستيفنسن والد جوليا، الفتاة الجذابة ذات العينين الزرقاوين، والشعر الداكن المجعد. كانت روث قد التقت بجوليا في المدرسة الداخلية، ومنذ ذلك الحين وهما صديقتان حميمتان. احداهما شقراء والاخرى سمراء. كانت روث الشقراء تشبه الفتيات الاسكندنافيات بجمالها.

كانت الحفلة رائعة ولكن روث قدرت بأن السيد جيمس ومرافقه دخلا ليتفقدا احوال الحفلة فقط، حيث ان مثل هذه الحفلات لاتشد اهتمام السيد جيمس ستيفنسن، وربما ان صديقه مثله أو لعله معجب بهذه الحفلة. فكيف لها أن تعرف ولايهمها أصلا ان تعرف.

وبعد دقائق غادرا القاعة ولم تدر روث الى أين، ولكنها شعرت بخيبة أمل لاختفائهما، وهرعت مسرعة الى حيث تقف جوليا لتسألها باندهاش:

«من هذا الذي كان مع والدك منذ لحظة؟»

اجابتها جوليا بابتسامة:

«تقصدين باتريك، باتريك هاردي ابن عم والدي؟»

«اذا كان باتريك هو الرجل المرافق لوالدك فهو من أسألك عنه، لأنني لم أره قبل اليوم.»

«بالفعل لأنه يعمل في فنزويللا وعاد لتوه من هناك في اجازة. أظن أنه يعمل كيميائيا او فيزيائياً، غير متأكدة من ذلك، ولكنني أعلم انه يعمل في احدى شركات النفط الكبرى. لماذا تسألين عنه؟»
«حب استطلاع، لا أكثر»
«ما الامر، هل بدأت أسهم مايكل بالهبوط لديك؟»
أجابتها روث بتردد:
«أنت تعرفين أنني ومايكل صديقان لاأكثر.»
«ولكن باتريك ليس كما تفكرين، فهو كبير السن، لابدّ أنه تجاوز الخامسة والثلاثين.»
«هذا لايعني أنه كبير جداً؟»
«انه كبير بالنسبة الينا يا روث، فأنت مثلا لاتتجاوزين الواحدة والعشرين ولايمكن أن تكوني معجبة بشخص بهذا العمر.»
«لم أقل انني معجبة به»
«أعرف ذلك ولكنني احذرك في أية حال.»
«هل هو متزوج أو له صديقة؟»
«لالم يتزوج بعد على ما أظن، عمله يشغل كل وقته، أنت ترينه يزورنا الآن لانه في اجازة في انكلترا.»
«آه... لماذا تبدين قلقة يا جوليا؟ ألا يحق لي أن أبدي اعجابي برجل ما؟»
هزت جوليا رأسها وأجابت:
«انه لايملك سوى راتبه.»
«هل هذا يهم؟»
«انه يهمّ والدك على الاقل.»
«يا إلهي يا جوليا، انك تفترضين بكلامك وكأني وقعت بحبه فعلا.»
«لم أفترض شيئاً، ولكنني أعرف هذه النظرة في عينيك. رأيتها من قبل، أرجو ألا...»

«ألاّ. ماذا؟»

«ألاّ تستسلمي لعواطفك.»

نظرت جوليا في انحاء الغرفة وكأنها تبحث عن شيء يلفت انتباهها. كانت الموسيقى تصدح عالية، حتى أن احداً لم يلحظ ما دار بين الفتاتين من حديث. أما جوليا فتمنت لو أن هذا لم يحصل. ولكنها أعلم بطبيعة روث المتمردة والتي تجرها دوماً الى المتاعب منذ أيام الدراسة، فبالرغم من ان روث كانت تلميذة محبوبة من قبل التلميذات والمدرسات على السواء، ولكن معظم اصدقائها المقربين من الجنس الآخر. كانت تختار الطويل والنحيف والانيق فيهم دوما. وكانت روث بجمالها تجذب الرجل.

كان السيد جوزيف فاريل مليونيراً عصامياً. وانتقل بفضل جهوده المتواصلة من محل صغير في شارع خلفي في ليفربول الى مكانه الحالي كمدير لسوبر ماركت. كان يحب المال جداً ويفضله على أسرته. ومنذ أن توفيت زوجته قبل ثلاث عشرة سنة حولّ كل حبه وعواطفه نحو ابنته روث، يلبي كل ما تطلبه. ومع هذا لم تفسد هذه المعاملة طبيعة روث، بل كانت فتاة طيبة القلب تطمع في محبة كل الناس من حولها. تلك الصفة التي ربما قد تسبب لها المشاكل في المستقبل برأي جوليا. أما جوليا فقد عاشت في جوّ مختلف تماماً عن ذاك الذي عاشته روث. لم تكن عائلتها غنية، أو على الاقل ليس بمقدار غنى جوزيف فاريل، ولكنهم كانوا محبوبين اجتماعياً أكثر. ولذلك شعرت جوليا دوماً بنوع من المسؤولية تجاه صديقتها روث، ربما . لأنها كانت يتيمة الام.

اقتربت جوليا من روث وسألتها:

«هل تأتين معي لنأكل شيئاً، فأنا أرغب أيضا في كأس من العصير.»

«حسناً هيّا بنا»

ثم سارت الفتاتان نحو مائدة الطعام في الغرفة الملاصقة للقاعة.

«أشكرك يا جوليا على دعوتك لي لقضاء الليلة هنا، فوالدي لا يوافق على أن اقود سيارتي في الظلام.»

«ولن يوافق والدك أيضاً على أن تسافري مع مايكل فريمان.»
«مايكل؟ أه، انه في مكان ما الآن. لقد حجز لنفسه غرفة في أحد الفنادق الصغيرة. أرجو ان لايغلقوا الباب قبل عودته والا...»

أجابت جوليا ضاحكة:

«باستطاعته عندئذ أن ينام هنا على الاريكة فوالدتي لاتمانع بذلك. هل ستعودين غداً صباحاً أم ستبقين الى ما بعد الظهر؟ فاذا بقيت يمكن ان نركب الخيل في الصباح.»

«سأبقى اذا لم يكن لديك مانع. وربما أحظى بالتعرف على ذلك الشاب القادم من فنزويللا والذي يعمل في احدى شركات النفط هناك.»
«روث! اعتقدت بأنك نسيت ذاك الشاب، باتريك.»
«كيف لي أن أنسى؟»

شعرت روث بحب استطلاع غريب يتملكها للتعرف بابن عم والد جوليا، وربما كان عدم التعرف اليه في الحفلة شوّقها الآن، أو أنها تلك الهالة من الوسامة والهيبة المحيطة به والتي يبدو من خلالها ذا جلال. أو لعلّ لونه البرونزي ونظراته العميقة وشكله الذي ينمّ عن خبرة وتجربة في الحياة جعلته يبدو مختلفاً عن هؤلاء الشبان الذين تقابلهم عادة. مهما كان السبب فأنها تنتظر شروق الفجر بفارغ الصبر حيث انها تتوقع شيئاً ما يغيّر روتين يوم الاحد. استيقظت في الصباح الباكر وأخذت دوشاً سريعاً ثم لبست بلوزة وبنطالا بنفسجياً. كان شعرها الطويل ينسدل بغزارة على كتفيها وهي ترفعه بغنج ودلال الى ما فوق اذنيها بين الحين والآخر. كانت الساعة التاسعة عندما نزلت الدرج متجهة الى الصالة الواسعة في الطابق الارضي. وكانت الخادمة تقوم بتنظيف الصالة، ومنافض السكائر من الرماد بعد حفلة الامس. اجابت الخادمة على تحية الآنسة روث بأدب وعادت لتتم عملها، بينما سارت روث باتجاه النافذة لتتطلع الى منطقة ويلتشاير.

يملك والد جوليا بعض الاراضي والعقارات في هذه المنطقة ومع أنه اضطر

اخيراً الى الاعتناء بها بنفسه ولكنه سعيد بامتلاكها، فمثلا ذلك المنزل الذي قارب عمره من الثلاثمائة عام والذي قام والد جوليا بالتصليحات اللازمة له ليجعله مريحاً من الداخل كأحدث طراز ولكنه لايزال يحتفظ بعراقة الماضي.

عادت روث تبحث عن الخادمة لتعدّ لها الافطار، فلم تجدها. فقررت أن تطلب ذلك من الطاهية السيدة موريس، وبينما هي متجهة الى الصالة اصطدمت بالسيد هاردي. فاعتذرت له برقة:

«أنا آسفة...»

«أعتقد أن الحق عليّ، فلم أنظر أمامي.»

«هل أنت السيد هاردي؟ رأيتك ليلة أمس تدخل برفقة والد جوليا، أليس كذلك؟»

«هل رأيتني يا آنسة...؟»

«اسمي روث فاريل، وأنا صديقة جوليا، لقد دعتني لتمضية عطلة نهاية الاسبوع معهم.»

نظر اليها بخبث وأجابها:

«هل صحيح أنك صديقة جوليا، فأنا لا أعرف أياً من صديقاتها اذ أن جوليا كانت لاتزال تلميذة في المدرسة عندما غادرت البلد، كيف حالك يا آنسة فاريل؟»

«على ما يرام، لقد علمت انك تعمل في فنزويللا، في شركة نفط اعتقد انه عمل ممتع أليس كذلك؟»

وعاودت سؤاله بقولها:

«وهل عملك فني؟»

أجابها باقتضاب:

«تقريباً.»

«هل ستعود الى هناك؟»

«بالطبع سوف أعود بعد عدة أسابيع.»

وحاول أن ينهي المحادثة ليتم مشواره بينما استمّرت روث مطـرة اياه بالاسئلة:

«لم أذهب الى اميركا الجنوبية من قبل، هل هي منطقة حارة؟»

«المنطقة التي اعمل فيها حارة جداً.»

واستأذنها بالانصراف وخرج. عادت روث الى النافذة وشاهدته يمشي في حديقة المنزل وفكرت أنه لابد قد أحس بالاختلاف بين طبيعة الجو في البلدين، ولاحظت بدلته الكحلية الانيقة وأحست نحوه بالاعجاب.

حضرت الخادمة لتسأل روث ما اذا كانت تريد أن تفطر في غرفة الطعام مخبرة اياها بأن أهل البيت عادة يتناولون طعام الافطار في غرفهم يوم الاحد.

فسألتها روث اذا كان السيد هاردي سيتناول فطوره في غرفة الطعام لتشاركه ذلك. فردت عليها الخادمة بالايجاب. وفكرت روث لو أن جوليا حضرت ووجدتهما يتناولان طعام الافطار سوية لما صدقت أنها مصادفة.

دخلت غرفة الطعام وجلست على الاريكة بقرب النافذة تقرأ الجريدة، ريثما يجهز الفطور. وبدون شعور منها كانت تنتظر السيد هاردي ليلحق بها. وما هي الا دقائق حتى دخل السيد هاردي وقال لها:

«هل لي أن أجلس معك يا آنسة فاريل؟»

«بكل سرور تفضل.»

أحضرت الخادمة طعام الفطور ووضعت طبق البيض والمرتديلا أما السيد هاردي، أما روث فلم تأكل سوى قطعة من التوست وعصير الفواكه. خيّم الصمت، وكانت روث تتساءل كيف يتسنى له أن يحتفظ برشاقته وهو يتناول هذه الكميات من الطعام. ودهنت قطعة التوست بقليل من الزبـدة وبـدأت باحتساء القهوة حين قطع السيد هاردي حبل الصمت عندما علق:

«لم تعد تعجبني القهوة هنا بالمقارنة مع القهوة التي أتناولها في فنزويللا فالقهوة هناك ممتازة.»

«هل يوجد مزارع بن في فنزويللا؟»

«نعم، ولكن البرازيل قريبة جداً منا، والبن البرازيلي أجود بن في العالم»
«هذا صحيح، هل زرت البرازيل؟»
«عدة مرات».

أخرج السيد هاردي علبة التبغ من جيبه، وبدأ يلف سيكارة لنفسه، ثم نظر الى روث وقال لها:
«آسف ليس معي غير هذا النوع من الدخان.»
«شكراً، أنا لا أدخن.»

وأخذ السيد هاردي يدخن السيكارة، وروث ترقبه بشغف. أعجبت بلون عينيه الرماديتين واهدابها الطويلة وأحست بمشاعر غريبة تنتابها فاضطربت وأخذت تحدثه محاولة اخفاء تلك المشاعر قائلة:
«أعتقد أنك زرت معظم بلاد أميركا الجنوبية؟»
«نعم، زرت معظم تلك البلاد، ولا أزال أرغب في زيارة الباقي. انها بلاد عاصرت حضارات متعددة وأنا أجد تاريخها ممتعاً جداً.»
«ولكن عملك لايتعلق بالتاريخ.»

أجابها مبتسما:
«نعم هذا صحيح. عملي يتعلق بمقومات الحضارة الحديثة جداً. ولكن هذا لايمنع من أن أدلف الى الماضي بين الحين والآخر.»

واعترفت روث قائلة:
«مع الاسف، كل ما أتذكره عن فنزويللا هو كيف سميت بهذا الاسم. فعندما اكتشفها كريستوفر كولمبس ووجد الهنود يعيشون في الاكواخ العائمة في الماء أعلن بأنها ذكرته بمدينة البندقية.»

نفض السيد هاردي رماد سيكارته وأجابها:
«نعم، ان كريستوفر كولمبس اكتشف اميركا، ولكن هناك رجل اسباني آخر هو أولنزو أوخيدو اكتشف بحيرة مراكيبو، وهو الذي رأى أكواخ الهنود العائمة في الماء فدعاها فينيس الصغيرة أو فنزويللا كما تدعى اليوم. وهل تدرين أن

مستوطنين اسبان في جميع انحاء اميريكا الجنوبية استوطنوا جزيرة كوباخا على ساحل فنزويللا؟»

ورددت روث الاسم ببطء قائلة:

«كوباخا؟ انه اسم موسيقي جميل.»

«انها مركز لاستخراج اللؤلؤ حاليا.»

«نعم، ولكنه ليس بالعمل المهين. وأين تعمل أنت، وكيف تبدو تلك المنطقة؟ هل هناك زراعة وهل هناك غابات استوائية؟»

وأخذ نفساً من سيكارته وقال:

«نعم، هناك بعض الغابات الاستوائية على الساحل الجنوبي للبحيرة، ولكن المنطقة ليست منطقة رومانسية كما تتصورين. فهناك الامطار التي ترتفع في بعض المناطق الى أكثر من ثمانية بوصات. عدا عن الرطوبة القاتلة والحرارة التي تصل أحياناً الى ٥٠ درجة مئوية.»

«ولكنك تسكن هناك.»

«ولكني لا أسكن في الغابات الاستوائية، فأنا أعمل بعض الوقت في مراكيبو نفسها وهي ثاني مدينة في فنزويللا، حيث ناطحات السحاب، والمكاتب المبنية من الطوب وتكثر فيها مشاكل المرور.»

«يخيّل الي أنها منطقة ممتعة.»

استمتعت روث بمحادثة السيد هاردي اذ انه حدثها عن بلاد تختلف حضارتها عن تلك التي عرفتها والتي زارتها مع والدها. لقد زارت معظم بلدان اوروبا والولايات المتحدة، ولكن خيل إليها ان هذه البلاد غريبة وممتعة.

أخذ باتريك ينظر اليها متفحصاً وجهها الجميل الاسمر لبضع دقائق، أحست روث خلالها بالخجل المشوب بالسعادة. ثم أمسك علبة التبغ ليلف لنفسه سيكارة وسألها:

«هل تسكنين في لندن يا آنسة فاريل؟»

«نعم.»

«هل ستعودين اليوم؟»

«بعد الظهر. فقد اتفقت مع جوليا على ان نركب الخيل هذا الصباح. هل تحب ركوب الخيل ياسيد هاردي؟»

«كنت استمتع كثيراً بركوب الخيل.»

«اذن لماذا لاتأتي معنا؟»

وقفت روث تتأهب للذهاب، بينما كان السيد هاردي يفكر بأن يقبل دعوتها أم لا ثم اجابها مبتسما:

«أعتقد أن جوليا لن توافقك على هذا الاقتراح.»

«هل هذا يهمك.»

«أظن أنه يهمني. على فكرة أخبريني كيف كان فصل الشتاء هذا العام؟ لقد توقعت أن أجد الثلوج تغطي الأرض، والمياه متجمدة، والامطار غزيرة. ليس لديك فكرة كم أن هذه الاشياء ممتعة للقادم من البلاد الحارة.»

كانت روث مضطربة تشد على قبضتي يديها محاولة اخفاء اضطرابها، متسائلة كيف جعلها هذا الانسان تشعر بأنها فتاة ساذجة بلا خبرة ولا تجارب بعكس الشبان الذين تقابلهم عادة، والذين يشعرونها دوماً بجمالها وروعتها. فما السبب الذي دعا باتريك هاردي ليعاملها بقلة اكتراث؟ أهي الحياة الصعبة التي يعيشها في فنزويللا هي التي علمته ألا يكترث لصداقة الجنس اللطيف؟

أخبرتها جوليا بأنه يكرّس كل وقته لعمله، هل هذا صحيح؟ أم أن هناك امرأة اخرى في مراكيبو تنتظره. ولكن هذه الفكرة الأخيرة أفزعت روث ولم تتقبلها.... وندت عنها حركة لاشعورية بعدم الرضى مما لفت انتباهه فسألها:

«ماذا هناك؟ هل شعرت بالاستياء لانني رفضت دعوتك؟»

«وماذا لو أني شعرت بالاستياء؟»

«سأعتذر لك بالطبع.»

شعرت روث بأنه يهزأ منها. وقبل أن تحاول الرد عليه، حضرت الخادمة

لترفع الطعام عن المائدة. فسألتها روث:
«هل استيقظت الآنسة جوليا من النوم، لأننا سنذهب لركوب الخيل؟»
«أخذت لها طعام الفطور الى غرفتها ووجدتها مريضة... ولا أعتقد أنه بامكانها ركوب الخيل هذا الصباح.»

هرعت روث الى غرفة جوليا متسلقة الدرج بسرعة البرق لترى ما بال صديقتها. ثم طرقت الباب فأجابتها جوليا:
«ادخلي.»
«مرحبا ياروث، تمنيت أن تحضري لأنني أشعر بصداع عنيف.»
«لقد أخبرتني الخادمة، هل تدرين ماسبب هذا الصداع، ألم تنامي جيداً؟»
«نمت جيداً، ولكن هذا الصداع ينتابني بين الفترة والاخرى، ولا تنسي صوت الموسيقى العالية في حفلة الامس.»
«هذا صحيح... اذن فلن تستطيعي ركوب الخيل معي هذا الصباح؟»
«أنا آسفة يا روث لانني لا أستطيع الذهاب معك.»
«لا تنزعجي، انها ليست غلطتك، ولكن الجو رائع جداً فالشمس مشرقة بالرغم من وجود الجليد.»
«أرجو أن تذهبي اذا أردت ذلك، فبامكانك ان تطلبي من مايكل مرافقتك، دعيه يمتطي حصاني.»
«لاتهتمي بالامر، أعتقد أن مايكل لايزال نائماً، ومن الممكن أن اغيرّ رأيي وأعود الى لندن.»
«لا ياروث، ابقي هنا، لقد تناولت بعض الحبوب، ومن المحتمل أن تتحسن صحتي بعد الظهر. لماذا لاتبقين هنا اذا لم يكن لديك شيء خاص تودين عمله في لندن، فبامكانك الاتصال بوالدك واعلامه بهذا.»
«لا أدري بعد.»
«أرجو أن تفكري بالامر، في أي حال لاتذهبي قبل الغداء».
«حسنا سوف أذهب بعد الغداء، وسأتركك الآن لترتاحي، سنتكلم فيما بعد.»

«هذا عظيم.»

خرجت روث من الغرفة وعادت جوليا الى النوم. وبينما كانت روث تهبط الدرج رأت باتريك هاردي يقف هناك مديراً ظهره لها فأبطأت الخطى مفكرة بأن تعود بدون أن يحس بها أو يراها، ولكنه التفت فجأة وسألها:

«كيف حال جوليا؟»

«لديها صداع عنيف.»

«اذن لن تذهب معك لركوب الخيل؟»

«لا، لن تستطيع الذهاب.»

«هل ستذهبين؟»

«وحدي لا، لا اريد أن أذهب وحدي.»

«لا أعني وحدك، سأذهب معك اذا كنت تزالين تريدينني أن أتي؟»

«أرجو ألا تشعر بأنك مرغم على ذلك يا سيد هاردي.»

«أعلم أنني غير مرغم، ولكن هل ترغبين بذهابي معك أم لا؟»

«بالطبع أود مجيئك معي.»

«حسناً. اذن أقترح أن ترتدي ملابس سميكة وأنا سأنتظرك في الصالة.»

«حسناً.»

انتابت روث مشاعر الفرح والسرور، هل ياترى لأن باتريك وافق على مرافقتها لركوب الخيل؟ وخطر لها أن باتريك لم يأت عن طيب خاطر بل ربما أشفق عليها لأن جوليا كانت مريضة لا تستطيع النهوض من الفراش. دخلت روث الى الصالة لتجد باتريك هاردي مرتدياً سترة من الصوف ينتظرها فبادرها قائلا:

«أعلمت الطاهية أننا ذاهبان لأن الجميع لايزالون نائمين.»

ثم سارا نحو الاسطبل حيث لاقاهما سائس الخيل وهو يقود حصانين مما تأكد لروث ، أن باتريك أعلم السائس بنيّتهما للركوب مسبقاً. سارا يقودان الحصانين محاولين الاتفاق على الجهة التي سيذهبان اليها. كان باتريك جاهلا

بهذه المنطقة بعكس روث التي كانت تعرفها جيداً وتدري الى أية جهة من الممكن أن يذهبا. لذلك حاول أن يترك لها الاختيار معتمداً عليها وهو يتمشى بهدوء يتأمل الطبيعة حوله، وتوقفا ليتكلما عما حولهما وقرعت أجراس الكنائس فقال معلقاً:

«ليس هناك من مكان في العالم يماثل هذا المكان بأصوات أجراس كنائسه يوم الاحد.»

ثم أخرج علبة التبغ ولف سيكارة وأخذ نفساً عميقاً ثم تابع حديثه:
«عندنا كنائس في بروتوريكو ولكن أصوات اجراسها لاتماثل هذه.»
وقطبت متسائلة:
«بورتوريكو حيث تسكن؟»
«نعم، هيا بنا نسير.»
سارا جنباً الى جنب يتحدثان، قالت روث:
«كم ستطول اقامتك في انكلترا ياسيد هاردي؟»
«أعتقد حوال ستة أسابيع، لماذا؟»
«حب استطلاع فقط. لقد فكرت انك اذا كنت في لندن فمن الممكن أن تحضر لزيارتنا يوماً أو تتناول طعام العشاء معنا أنا ووالدي اذا رغبت بذلك.»
«هذا لطف منك.»

لم يرتبط السيد هاردي بأي موعد، ولم يظهر على وجهه أيّ تعبير. وتابعا سيرهما قرب الاشجار الباسقة الشائكة واذا بروث تتعثر بسيرها وبينما حاولت ان تتحاشى السقوط صرخت مستنجدة من الالم. فقد خدشت رأسها بعض الاغصان الشائكة ولايزال شعرها معلقا ونفرت الدموع من عينيها. أسرع باتريك وأخذ يفك شعرها الذي تشابك مع الاغصان .كان قريبا منها حتى أنها شعرت بأنفاسه، فقالت له:
«شكراً جزيلا فلولاك لا أدري ماذا أفعل.»
فأجابها هازئاً:

«لاتدرين؟»

«هذه الحقيقة.»

«انني متأكد أن هذا لايحصل الا اذا كان هناك الفارس المغوار المنقذ للسيدة الجميلة.»

«ماذا تعني بكلامك هذا؟»

«أعني أنك تلك المرأة التي تعرف متى تتورط بمشكلة.»

لم تدر روث كيف تبتلع هذه الاهانة، خاصة وأنه علق بصوت هادىء مظهرا كل أدبه وكياسته. فسألته:

«هل لك أن تشرح لي ماذا عنيت بقولك؟»

«أعتقد أنك فهمت ما أعني.»

«أنني لم افهم.»

وشعرت روث بألم في معدتها وأجابها باتريك:

«حسناً يا آنسة فاريل، ماذا تريدين مني؟»

«انني لا أدري ماذا تعني بهذا؟»

«أعتقد أنك تعرفين وسأشرح لك في أية حال.»

ثم أخرج قفازيه من جيبه وبدأ يلبسهما، ويقول:

«لسبب أنت تعلمينه جيداً، تحاولين كل جهدك أن تلفتي انتباهي اليك.»

حاولت روث حبس أنفاسها المتلاحقة من هول المفاجأة وقالت له:

«كيف تجرؤ أن تقول هذا؟»

«لقد دعوتني لأركب معك الخيل، حتى أنك دعوتني للعشاء في منزل والدك ونحن لم نعرف بعضنا الا منذ ساعتين، وحيث انك لم تحصلي على الجواب الشافي مني، استعملت أقدم حيلة في التاريخ، ضعف المرأة المغلوبة على أمرها.»

«هذا غير صحيح، اذا قصدت أنني شبكت نفسي بالاغصان الشائكة حتى تنقذني.»

هز كتفيه بلا اكتراث وقال باستهزاء:

«أصحيح انك لم تفعلي؟»
«انني لم أفعل هذا أبداً.»

نظرت روث اليه بغضب وأمسكت لجام الفرس لتمتطيه. لقد أرادت أن تترك هذا المكان بأسرع وقت ممكن، حتى أنها ودت لو حزمت حقائبها وغادرت بدون أن تراه أبداً. ولكنها فكرت أنها اذا فعلت هذا ستبدو كالطفلة في عينيه ولن تدعه يعتقد بأنها طفلة، ثم نظرت اليه ثانية، وقالت له ببرود:
«على الأقل ان خداعي لا يقاس بما تفعله أنت يا سيد هاردي.»

لقد توقعت منه أن يغضب ويزمجر من تعليقها هذا أو يرّد عليها منتقماً ولكنه انفجر ضاحكا. أما هي فحاولت أن تحبس الدموع في عينيها. لم يجسر أحد قبل هذا اليوم أن يوجه اليها أهانة كهذه، انها تجربة سيئة. امتطت روث صهوة الحصان ونخزته مسرعة بدون الاهتمام لاي جهة تتجه. فكل ما كان يهمها هو أن تبتعد عن باتريك هاردي بقدر الامكان.

٢ ـ السيارة الصغيرة

عندما عادت روث الى المنزل كان الجميع بمن فيهم جوليا قد انتهوا من طعام الغداء، وكانوا قلقين لتأخرها. ولمّا رأتها جوليا بادرتها قائلة:

«أين كنت يا روث؟ بدأنا نقلق عليك.»

«أنا آسفة. ذهبت أبعد مما توقعت.»

«كان عليك أن لاتذهبي بعيداً بمفردك. اعتقدت بأنك ستلغين ركوب الخيل عندما اعتذرت لك.»

«لا. ولكنني أمضيت وقتاً طيباً»

«حسناً.»

شعرت روث بأن جوليا لم تعرف شيئاً مما حدث بينها وبين باتريك. تابعت جوليا كلامها:

«أصبح الطعام بارداً. هل أطلب من الطاهية أن تعد لك بعض العجة لتأكلي؟»

«لا. أرجو ألا تزعجيها. سأكتفي بالساندويش. أين الآخرون؟»

«والدي ووالدتي و باتريك يجلسون في المكتبة يحتسون القهوة. وأنا كنت أنتظرك. لقد قال باتريك انه اذا لم تحضري خلال ربع ساعة فسوف يذهب ليبحث عنك.»

«هذا كرم منه.»

«تعالي الى المطبخ لتأكلي. وسنتحدث هناك. لقد حضر مايكل هذا الصباح قبل مغادرته الى لندن. أعتقد أنه توقع أن يراك هنا. ولكنه لم يستطع الانتظار، لأنه

يجب أن يكون في الكلية هذا المساء.»

«هذا صحيح يجب عليه أن يذهب.»

ذهبت الفتاتان الى المطبخ بمرح، وقالت روث:

«انا سعيدة لأنه ذهب. أحياناً أضيق بوجوده.»

أحضرت الطاهية السيدة موريس بعض سندويشات المرتديلا والسلطة. ثم اعدت لهما القهوة وتركتهما تتسامران وهما جالستان الى مائدة الطعام. أما السيدة موريش فقد عادت الى كرسيها لتغزل الصوف. كان جو المطبخ لطيفاً جداً. يوحي بالدفء والطمأنينة. وشعرت روث بتحسن مما انتابها من ألم في معدتها هذا الصباح، ولكنها لم تخبر جوليا بهذا. بالاضافة الى ان معرفتها بباتريك سطحية، ولا تستطيع الحكم عليه بعد. أما جوليا فسألتها:

«ستبقين للغد. أليس كذلك؟ الساعة الآن تقترب من الثالثة بعد الظهر وسوف يحل الظلام خلال ساعة.»

لم تود روث البقاء ولكنها ما دامت تأخرت الى هذا الحد فلم يكن امامها بديلاً من البقاء لليوم التالي على أن تتصل بوالدها وتعلمه بعزمها على البقاء.

ابتسمت جوليا مازحة مع روث التي كانت تتهمها بأنها تتصرف كما لو أنها لازالت تعيش في العصر الفيكتوري بعاداتها وتقاليدها.

بدأ الجميع يستعدون للعشاء. وبينما كانت روث تختار ماسترتديه هذا المساء، أخذت تفكر بما حدث هذا الصباح. وتذكرت أنها أخبرت باتريك بأنها ستغادر بعد الظهر. أما الآن فعندما يراها سيصدق ما قاله لها... لذلك فكرت بالاعتذار عن العشاء. ولكنها نبذت الفكرة لأنها لاتريد أن تكون جبانة بل ستواجه الامر بشجاعة وستريه أنها غير مهتمة به أبدا. لم يكن مع روث كثير من الملابس لتختار بينها، اذ انها أحضرت ملابسها تكفي لليلة واحدة ليلة الحفلة - فقط وعدا عن ذلك لم تجد شيئاً مناسباً لهذا المساء. ثم فكرت بأنه لم يرها في الحفلة ولا بأس اذا ارتدت الفستان المخمل الطويل ذا الاكمام الطويلة والياقة للمفتوحة عند العنق.

ألقت روث نظرة أخيرة على هندامها قبل أن تنزل الى الصالة في الطابق الارضي. وشعرت برعدة وهي تمر خلال الصالة التي اعتاد والدا جوليا الجلوس فيها قبل تناول الطعام. كانت روث آخر شخص دخل غرفة الطعام وظهر ذلك وكأنه تعمد منها، بينما في الحقيقة حصل بالصدفة. لفتت انتباه الجميع بأناقتها، وتعمدت أن تركز نظرها على والدة جوليا متجاهلة باتريك هاردي. لم تعرف السيدة ستيفنسن، والدة جوليا أنهما تقابلا من قبل ولذلك سحبت روث من يدها واتجهت بها نحو باتريك وهي تبتسم معرفة:

«باتريك، ألم تقابل روث؟»

كان باتريك مرتديا بدلة غامقة مما أظهر لونه البرونزي أكثر وأضفى عليه هالة من الوسامة والرجولة. وأجاب بهدوء:

«لقد تقابلنا هذا الصباح وتناولنا طعام الافطار سوية، أليس كذلك يا آنسة فاريل؟»

أجابت روث بارتعاش اذ أحست بأن جوليا تنظر اليها بدهشة:

«نعم، لقد تعارفنا هذا الصباح.»

أجابت ماريون والدة جوليا:

«لا بد أنكما تنهضان مبكرين. حسنا، انكما تعرفان بعضكما البعض.»

جلست روث بجانب جوليا وتناولت كأسا من العصير قدمها لها السيد ستيفنسن. كان الحديث حول المائدة يدور حول أشياء عامة مسلية، حدثهم باتريك عن الحياة في اميركا الجنوبية وقد شد انتباه الجميع بحديثه بما فيهم روث التي كانت تستمع اليه بشغف بالرغم من شعورها بالاستياء نحوه. كان باتريك ينظر اليها حتى شعرت بالخجل ولم ترفع عينيها عن الصحن حتى أنهت طعامها.

وانتقل الجميع الى الصالة لاحتساء القهوة. جلست روث بالقرب من جوليا، ووقف باتريك والسيد ستيفنسن والد جوليا بجانب النافذة يتحدثان عن الزراعة والمحاصيل. أما السيدة ستيفنسن فقد جاءت لتشارك

الفتاتين جلستهما قائلة:

«يروق لوالدك الحديث عن المزارع وتحسين منتجاتها في حين أن باتريك لايهتم بمثل هذه الاحاديث فهو يستمع اليها مرغماً. اشكر الله على أنه لم يتحدث بهذا الموضوع على مائدة الطعام.»

ضحكت الفتاتان لتعليق السيدة ستيفنسن، بينما كان الرجلان منهمكين بالموضوع نفسه قرب النافذة. وكانت روث تسترق النظر اليهما. أمسكت والدة جوليا احدى المجلات وبدأت بتقليب صفحاتها بينما أخذت جوليا وروث تتحدثان بهمس:

«لم تخبريني يا روث بأنك تناولت طعام الافطار مع باتريك هذا الصباح.»

«نسيت ذلك.»

«أعتقد أنك لم تجديه كما توقعت.»

«ليس كذلك.»

«مع انك يوم أمس كنت معجبة به جداً.»

«دعك من هذا. كان حب استطلاع فقط، وددت معرفة من هذا الغريب.»

«أعرف أن هذا كل ماوددت أن تعرفيه.»

«ما رأيك بالذهاب الى غرفة المكتبة للاستماع لبعض الاسطوانات.»

«فكرة جميلة.»

أسرعت روث تهم بالخروج من الصالة اذ أرادت أن تبتعد عن المكان حيث باتريك هاردي، ولكن والدة جوليا استوقفتهما بسؤالها:

«الى أين انتما ذاهبتان؟»

«لنستمع الى الموسيقى في غرفة المكتبة، هل لديك مانع؟»

«لا أبداً، ولكن أرى أن باتريك ملّ حديث المزارع مع والدك. فلماذا لاتحضرين بعض الاسطوانات هنا يا جوليا وترقصان؟»

«يا والدتي العزيزة كيف تفكرين أنني و روث سنرقص هنا أمامكم؟»

«لم لا؟ فتيات هذا الجيل يرقصن بمفردهن بلا رفيق.»

تنهدت روث وقد نفد صبرها اذ شعرت أنه ليس من السهل ترك الغرفة والجلوس على انفراد.

وأجابت جوليا أخيراً:

«حسناً، سوف احضر بعض الاسطوانات الى هنا.»

سرّت والدة جوليا لقبول طلبها وابتسمت لروث قائلة:

«تعالي اجلسي هنا وحدثيني اين ذهبت هذا الصباح؟»

«هذا الصباح.»

«نعم، عندما ذهبت لركوب الخيل.»

«أه، لقد نسيت.»

جاءت جوليا ومعها الاسطوانات واخذت روث تساعدها في انتقاء احداها وهمست لصديقتها:

«لا بأس، فلا بد أن والديك سيشعران بالملل لسماع هذه الموسيقى.»

وأجابتها جوليا:

«ليت هذا يكون صحيحا.»

وقبل أن تضعا الاسطوانة سمعتا صوت سيارة تقف في الخارج.

أسرعت جوليا للقاء الشخص القادم بينما ألقت السيدة ستيفنسن الجريدة جانباً وقالت متسائلة:

«من القادم ياترى؟»

أجابها زوجها وهو سائر نحوها من قرب النافذة:

«لا بد أنه هاينز جاء ليخبرني عن نتائج السباق، لقد وعدني بذلك»

ولكن جوليا عادت بصحبة شاب كانت قد قابلته روث في حفلة ليلة أمس. انه بيتر فورستر. ابتسمت السيدة ستيفنسن محيية الضيف:

«أهلاً وسهلا يابيتر. انها مفاجأة جميلة»

كان بيتر فورستر شاباً أنيقاً جذاباً في أواخر العشرينات من عمره. كان والده يملك مزرعة بالقرب من بيت والد جوليا، وكان قد درس في كلية الزراعة

ويعمل حالياً كمأمور لاصحاب المزارع في المنطقة. وهو معجب بجوليا جداً وربما يخطبها. ومع ان جوليا تحب التجول والتسوق في لندن لكنها تحب الريف أكثر، وسيلائمها الزواج من بيتر حيث سيعيشان في الريف. كان بيتر يتأمل الجالسين وقال:

«أرجو المعذرة ياسيدة ستيفنسن، لم أعرف أنه لديكم ضيوف هذا المساء، فكرت أن جوليا وحدها وربما نخرج سوياً.»

ابتسمت جوليا بسعادة لاهتمام بيتر بها، أما والدتها فقالت:

«أهلا بك يابيتر وما دمت حضرت هنا فأرجو أن تشاركنا جلستنا. كانت جوليا على وشك أن تضع بعض الاسطوانات لنستمع الى الموسيقى، أليس كذلك ياعزيزتي؟»

ترددت جوليا قليلا ثم أومأت بالايجاب أما روث فشعرت بأنها سبب تعطيل جوليا عن الخروج فقالت لها:

«جوليا، أرجو أن تخرجي مع بيتر اذا رغبت في ذلك.»

فقاطعها والد جوليا:

«لاتكوني سخيفة يا روث، هذا غير معقول. جوليا لن تذهب وتتركك بمفردك.»

تدخل السيد باتريك هاردي ليقول:

«أنا لدي اقتراح. لماذا لانذهب جميعاً الى أحد المقاهي على الطريق لنتناول القهوة.»

نظرت والدة جوليا الى زوجها متسائلة عما اذا لاقت الفكرة قبوله:

«هل تود الخروج يا جيمس؟»

احتارت روث اذ لم يسألها أحد رأيها، ان آخر شيء توده الآن هو أن تجلس مع باتريك هاردي ولعدة ساعات. قال السيد جيمس:

«أنا في الحقيقة غير متحمس للخروج، وأفضل تمضية ليلتي بهدوء في المنزل.»

ردت عليه زوجته:

«حسناً، وأنا أيضاً أرغب بالبقاء في المنزل. فباستطاعتكم أنتم الاربعة الذهاب

وحدكم.»

شعرت روث بانزعاج شديد لوجودها في هذا الموقف الحرج فقالت:

«وأنا أيضا أرغب في البقاء في المنزل.»

ردت عليها السيدة ستيفنسن:

«نحن كبار السن ونفضل الهدوء أما أنت فصبية وستذهبين معهم.»

وعندما لم تجد روث أي حجة للبقاء في المنزل وافقت على الخروج. بادر باتريك هاردي الحديث بقوله:

«حسناً، هيا بنا. جوليا سوف تركب مع بيتر في السيارة. وأنا والآنسة فاريل سوف نذهب في سيارتي.»

نظرت روث اليه بغضب متوقعة اياه ان يبادلها النظر ولكنه تجاهل الامر وتابع سيره الى الصالة ليأخذ معطفه قبل الخروج بينما أحضرت روث شالها وخرجا.

اقترح بيتر الذهاب الى مقهى بيزونغ.

وسأل باتريك اذا كان يعرفه ولكنه أجاب بالنفي. وتابع قائلا:

«بيتر، أنت تقود ونحن نتبعك.»

«حسناً، الى اليمين.»

هز باتريك رأسه ثم ذهب ليحضر سيارته الصغيرة بينما بقيت روث تنتظره قرب الباب. ركبت روث بجانب باتريك الذي بادرها قائلا:

«أرجو أن لايضايقك ركوب مثل هذه السيارة الصغيرة ياآنسة فاريل. في الحقيقة انها وسيلة للمواصلات فقط.»

لم يكن بد من الاجابة فهي لاتستطيع تجاهله:

«انا معتادة على هذا النوع من السيارات. فسيارتي صغيرة أيضاً.»

أبطأ باتريك عندما رأى بيتر يقود سيارته الى احد الفنادق القريبة فلحقه. ترجل الجميع وساروا في الممر الطويل المؤدي الى الباب الامامي للفندق. قادت الفتاتان الطريق يتبعهما الشابان.

همست جوليا في اذن روث:

«أرجو ألا يكون لديك اعتراض على حضورنا الى هنا؟»

«لا، لا أبداً. هل نترك معاطفنا في غرفة الانتظار؟»

«نعم.»

دخل الجميع الى صالة الطعام الملحقة بقاعة الرقص. وبعد تناول عصير البرتقال المثلج، دخل بيتر وجوليا ليرقصا. وبقيت روث مع باتريك بمفردها. فقالت روث:

«أرجو المعذرة فأنا سأذهب لعدة دقائق.»

أمسك باتريك بذراعها مانعاً اياها من النهوض قائلا:

«لماذا؟»

فأجابته:

«ولماذا تعتقد؟»

«ألا تستطيعين الانتظار؟»

وفوجئت روث بهجومه قائلة:

«اذا كان يجب ان تعرف...لا...»

وتمتم قائلا:

«لااصدقك، لا أظن أنك بحاجة للذهاب. انك تحاولين أن تتجنبي وجودك معي وحدك.»

«أرجو أن تدعني أخرج.»

«لا، ليس الآن أود أن اراقصك. هيّا بنا.»

وكانت مجبرة على مرافقته واخذا يرقصان على أصوات الموسيقى الجميلة. وما أن هدأت روث قال لها باتريك:

«ما رأيك الآن، هل تشعرين بتحسن.»

«نعم، شكراً على سؤالك.»

«آسف، على مابدر مني هذا الصباح، كنت سخيفاً. في الواقع ليس من طبعي،

ولكن لدي أسبابي الخاصة.»

«هذا لايهم الآن.»

ولكن باتريك تابع حديثه:

«أود أن أشرح لك الاسباب. قبل خمس سنوات عندما حضرت الى انكلترا في اجازة، أرادت ماريون أن تعرفني الى ابنة عمها بهدف الزواج. أعتقد أن اسمها كان سيليا. كانت فتاة رائعة لكنها لاتناسبني كزوجة.»

وأسرعت روث قائلة:

«وظننت أنني مثلها مرشحة للزواج منك.»

«نعم هذا صحيح، ولكن بعد الظهر، أخبرتني ماريون من أنت وشعرت بأنني أحمق لانني فكرت هكذا.»

«ومن أنا، ماذا قالت لك؟»

لمعت عيناه بالسرور وأحس أنها غفرت له فقال لها:

«ألا تعرفين من أنت؟»

«أخبرني أنت.»

«انك ابنة جوزيف فاريل بالطبع ووريثته الوحيدة، وبالتأكيد لن تتشبثي بأول شاب يصادفك، بالاضافة الى ان والدك سيتأكد عندما يوافق على من سيتقدم لطلب يدك بأنه سيقدم لك أكثر مما هو قادر على تقديمه كيميائي بسيط.»

«آه فهمت.»

«اذن دعينا ننسى ماحدث هذا الصباح ونبدأ صفحة جديدة، وأعدك أنني سأتعلم درساً بأن لاأغتر بنفسي مرة اخرى.»

شعرت روث بجفاف في حلقها فقالت له:

«هل لديك مانع أن نرتاح قليلا ونشرب بعض العصير؟»

«ليس لدّي مانع. دعينا نذهب الى القاعة الاخرى وسنلاقي بيتر وجوليا عندما ننتهي.»

وبعد أن شعر باتريك بعدم وجود مؤامرة لتزويجه أرتاحت أساريره وانطلق

في الحديث على سجيته، مما أشعر روث بأنه محدث لبق ورفيق ممتاز. كانت روث تستمع اليه يتحدث وهي تراقب لونه البرونزي، ضحكتـه، حركات يديه، وأحست بأنه يختلف عن جميع الشبان الذين تقابلهم وأحست بمشاعر غريبة تنتابها نحوه...

وفي الصباح التالي اجتمعوا حول مائدة الفطور، اذ بدأ اسبوع العمل. فالسيد ستيفنسن لديه بعض الاعمال العقارية ليتمها بينما السيدة ستيفنسن ستساعد اللجنة القائمة على خدمة المقعدين. ولم يحضر باتريك لتنـاول الفطور، وشعرت روث بالارتياح فهكذا يمكنها ان تغادر بدون رؤيته ثانية ورفضت دعوة جوليا لتبقي حتي الظهر واستأذنت بالعودة، داعية جـوليا لزيارتها في لندن ثم ودعتهم وانصرفت.

يقع منزل والد روث في شارع خلفي هادىء من ميدان ايتون. ذلك البيت الذي حولوه الى منزل جميل بمساعدة أحد مهندسي الديكور من أصدقاء والدها. كان الطابق الارضي قد أعد ليكون كاراجا للسيارة وجزء منه شقة للخدم، ثم الردهة التي يصعد منها السلم الى الطابق الاول حيث غرفة الجلوس وكانت هذه الغرفة مؤثثة بعناية واناقة تامتين تشعر الزائر بالراحة. لم تجد روث والدها في البيت لدي وصولها في حين جاءت السيدة لوسون المشرفة على المنزل مرحبة بها وسألتها اذا كانت تود شيئاً خاصاً للغداء.

«انا غير جائعة كثيراً، فقليل من السلطة أو الحساء يكفيني.»

«هل أمضيت وقتاً طيباً ياآنسة؟»

«نعم، استمتعت كثيراً. اخبريني هل سيحضر والدي للعشاء هذا المساء؟»

«نعم، على ما أعتقد، ولكن من الافضل ان تتصلي به وتسأليه. أعتقد أنه مشتاق لك جدا، لقد افتقدك ياآنسة.»

«هل هذا صحيح؟»

«نعم، انك تعلمين أنه لايخرج كثيراً في عطلة نهاية الاسبوع، بل يمضي معظم وقته في البيت، وكان البيت هادئاً بدونك.»

«سأتصل به حالا.»

يشغل مكتب السيد جوزيف فاريل حيزاً في احدى البنايات في بيز ووتر. وردت السكرتيرة على الهاتف قائلة:

«أعتقد أن السيد فاريل خرج للتوّ من المكتب. ولكن دعيني أتأكد فربما لايزال في الردهة يا آنسة.»

«نعم من فضلك.»

كانت روث تنتظر على الهاتف حتى تجيبها السكرتيرة عندما سمعت صوت والدها:

«هذه أنت يا روث؟»

«كيف حالك ياوالدي، هل أخرتك عن الخروج؟»

«آه كنت خارجاً مع اندي لنتناول شيئاً خفيفاً للغداء. بامكانه ان ينتظر، فنحن لسنا على عجلة من أمرنا.»

«طعام الغداء؟ كنت سأسألك أن تدعوني للغداء اليوم.»

«طبعاً، بكل سرور، ولكن يجب ألا نتأخر عن الساعة الثانية بعد الظهر فلدي موعد مهم ويجب أن اعود الى المكتب.»

«لا اعتقد ان هذا يناسبني، لأن وقتك ضيق.»

«هل تودين أن آخذك الى العشاء؟»

«لا، لاتفكر كثيراً بالموضوع، ولكن في ايّ ساعة ستعود هذا المساء؟»

«في الساعة السادسة.»

«سأراك في البيت.»

«حسناً، هل أمضيت وقتاً طيباً في عطلة نهاية الاسبوع، وهل أوصلت تحياتي لجيم؟»

«بابا، اسمه جيمس وليس جيم، فوالد جوليا لايحب أن يناديه أحد باسم جيم.»

«ها! كنت أنادي جدك بجيم ولم يتضايق، فلماذا ينزعج جيمس من هذا

الاسم، ألا يليق به؟»

«أرجو أن لاتغضب ياوالدي، مع السلامة سأراك في المساء»

«حسناً مع السلامة.»

وضعت روث الساعة في مكانها، وشعرت بفخر واعتزاز بوالدها، الرجل الجاد الذي كوّن ثروته بتعبه وجهده. وليس لديه وقت لاضاعته، ومع ذلك فهو ودود مع جميع العاملين في شركته يقابلهم جميعاً ويستمع الى شكاويهم ويحل مشاكلهم.

صعدت روث الى غرفتها الانيقة ذات اللون التركوازي الرائع ووضعت ملابسها على السرير استعداداً للاستحمام.

٣ ـ الامسية المملة

بعد ثلاثة أيام وبينا كانت روث تتناول طعام الافطار في غرفة نومها، حضرت السيدة لوسون لتخبرها أن هناك من يسأل عنها على الهاتف.

نظرت روث الى ساعتها متسائلة:

«ومن يكون في هذا الصباح الباكر، الساعة مازالت التاسعة؟»

«يقول انه السيد هاردي، هل تودين أن تتكلمي معه؟»

وضعت روث صينية الطعام جانباً وقفزت من السرير قائلة:

«هل قلت السيد هاردي؟»

«نعم، هل أطلب منه أن يتصل بك بعد قليل؟»

«لا، لا، أنا قادمة حالا لأتكلم معه، شكراً سيدة لوسون.»

وارتدت روث الروب دي شامبر ونزلت الدرج مسرعة لتجيب على الهاتف، مما أثار استغراب السيدة لوسون؛ وجعلها تتساءل، من ياترى يكون هذا السيد هاردي الذي أسرعت روث لتكلمه مع العلم أنها ترفض أية مكالمة هاتفية قبل الساعة العاشرة صباحاً. رفعت روث سماعة الهاتف قائلة:

«نعم، أنا روث، من الداعي؟»

«مرحباً روث، هل أيقظتك من النوم؟»

«في الحقيقة أني نهضت لتوي من النوم.»

«أليس هناك خط للهاتف في غرفتك؟»

«لا، فان والدي يعتبر صوت رنين الهاتف في غرفة النوم مزعجاً جداً.»

«لعله على صواب. أرجو ان تعذريني اذا أزعجتك في هذه الساعة المبكرة ولكنني وددت أن أدعوك للغداء».

«متى؟ اليوم؟»

«نعم، هل ستتمكنين من تلبية الدعوة؟»

تمهلت روث قليلا محاولة استرجاع مواعيدها لهذا اليوم، وتذكرت أنها على موعد مع زوجة أحد المدراء في مكتب والدها، ولكنها فكرت بالغائة، وأجابت بتردد:

«نعم، أعتقد أنه يناسبني، من أين تتكلم؟»

«من شقتي.»

«شقتك؟ لم أعرف أنه لديك شقة.»

«لقد استأجرتها اخيراً، يوم الاثنين فقط.»

«حسناً، هل هي في لندن؟»

«بالطبع، انها في ساحة كوين آن.»

«أعرف المكان جيداً، انه قريب من شارع مليبورن، أليس كذلك؟»

«نعم، هذا صحيح، أفهم من ذلك أنك تعرفين لندن بشكل جيد.»

كان صوته هازئاً، لذلك أجابت روث بلهجة دفاعية:

«عشت فيها ثلاث عشرة سنة.»

«هل هذا صحيح؟ لم يظهر عليك ذلك العدد من السنين.»

«لن تقول ذلك لو رأيتني الآن.»

«ولكن مخيلتي قوية.»

وشعرت روث فجأة بوهن في جسمها فجلست على الكرسي القريب من الهاتف ثم سألته محاولة تغيير الموضوع:

«أي ساعة تقترح موعداً للغداء؟»

«الساعة الثانية عشرة، هل لي بعنوانك؟»

«حسناً.»

وأعطته روث العنوان وودعته قائلة:

«مع السلامة، سأراك في الثانية عشرة.»

أعادت روث السماعة الى مكانها، وعادت الى غرفتها تفكر بهذا الانسان الذي لم يبارح مخيلتها منذ أن قابلته في الاسبوع الماضي، حتى أن صوته لاتزال تذكره جيدا. ولم تكن تصدق أذنيها أنها حادثته لتوها وستذهب معه لتناول الغداء. ياللمفاجأة. عليها الاتصال الآن بالسيدة لوحي فيلدينغ للاعتذار لها عن موعد ظهر اليوم، ولحقت بها السيدة لوسون ولاحظت عليها الاسهام فسألتها:

«هل أنت خارجة ياآنسة؟»

«نعم عند الظهر، أعتقد أن والدي ذهب الى المكتب.»

«نعم قبل قليل.»

فتحت روث خزانة الملابس محاولة اختيار ما ترتدي للخروج، وقالت لها السيدة لوسون:

«انك على موعد مع السيدة فيلدينغ. أليس كذلك ياآنسة؟»

«كنت على موعد معها، ولكني غيرت رأيي، وسأذهب للغداء مع السيد هاردي. فأرجو أن تتصلي بها هاتفيا وتخبريها أني أشعر بتوعك ومازلت في الفراش.»

ورمقتها السيدة لوسون بعين متفحصة وسألتها:

«ماذا هنالك ياآنسة؟»

«أخبريها أني أعاني من الصداع.»

«ولكن هذه ليست عادتك.»

«هي لاتعلم بذلك، أرجو أن تعتذري لها فقط.»

«لا، ولكن هذا لايعجبني، من هذا السيد هاردي؟ وهل يعرفه والدك؟»

«لا، ولكن لاتخافي انه انسان محترم.»

وأجابتها السيدة لوسون بجفاء:

«هل أنت متأكدة؟»

«سترينه عندما يحضر في الساعة الثانية عشرة ليصطحبني الى الغداء، أرجو أن تدخليه الى الصالة لدى حضوره.»

«سأفعل ذلك ياآنسة ولكن هل ستعودين للعشاء؟»

«نعم. سأكون هنا في المساء»

ارتدت روث ثيابها ووضعت الماكياج اللازم، وكانت تحدق بنفسها في المرآة عندما دخلت السيدة لوسون لتخبرها بوصول باتريك قائلة:

«هل تريدين شيئاً آخر ياآنسة؟»

«لا أعتقد ذلك، شكراً.»

وغادرت السيدة لوسون الغرفة متسائلة: «كيف التقت روث بهذا السيد هاردي.»

ودخلت روث مرحبة بباتريك:

«هل ترغب بفنجان من القهوة قبل أن نخرج؟»

كان باتريك مرتدياً سترته الكحلية ومعطفه البيج، مما أظهر أناقته الرفيعة ووقاره وجعل روث تشعر بالرهبة. وأجابها قائلا:

«لا، لا، شكراً، لا أرغب بتناول أي شيء.»

«حسناً، أنا جاهزة، ولكن ظننت أنك ربما تريد أن تشرب شيئاً قبل خروجنا.»

«هل تريدين أنت أي شيء؟»

كانت روث تشعر بالعطش ولكنها تجاهلت ذلك مجيبة:

«لا، دعنا نذهب إلى الغداء، فأنا جائعة.»

خرجا ليركبا سيارته الميني، وبينما كانت روث تفتح باب السيارة، لاحظت السيدة لوسون تسترق النظر باندهاش، ربما لأنها فوجئت بسيارته الصغيرة.

أوقف باتريك سيارته بقرب احد المطاعم في سوهو، ولاحظ نظرات الاستغراب على روث فأخبرها أنه يعرف مدير المطعم منذ زمن، فهو صديقة وسيهتم بهما كثيراً.

كانت أضواء المطعم خافتة جداً الا من بعض الشموع على الطاولات، ولكنه

يوحي بالنظافة والترتيب. قدمها باتريك الى المدير ووقفا يتحدثان عن غيبته الطويلة، وأخذ باتريك يشرح له عن عمله والبلاد التي يعمل فيها. وتعجبت روث لقوة شخصيته وجاذبيته مما جعله شخصية مميزة، يذكره الناس لمجرد رؤيته حتى بعد غياب طويل. لا بد أنه ذكي يحسن التكيف مع مختلف الظروف والمجتمعات.

وأحست روث بفراغ حياتها وتمنت لو أن لديها عملا ما أو هدفاً تعمل من أجله وخطر لها في الوقت نفسه أنه لو كانت فتاة عاملة ربما لما كانت قابلته ولما دعاها الى الغداء.

جلسا الى المائدة في ركن المطعم وتوجه باتريك بحديثه الى المضيف قائلا:

«ماذا لديك اليوم لتقدمه لنا ياماركو؟»

أحضر ماركو قائمة الطعام وأخذ يتباحث بشأنها مع باتريك، ولاحظت روث أنه اختار بعض أنواع السمك والخضار ولما سألها عما تفضل اختارت الوجبة نفسها. ومن ثم تركهما المضيف وذهب لتحضير الوجبة.

وبادرها باتريك بالحديث قائلا:

«أرجو المعذرة لانني أطلت الحديث مع ماركو ولكن في الحقيقة لم أره منذ خمس سنوات والطليان بطبيعتهم اجتماعيون.»

«لاداعي للاعتذار أبداً.»

وشعرت روث ببعض اليأس حتى أن اعتذاره لم يعن شيئاً لها.

وبادرها بالسؤال:

«هل أعجبك المكان؟»

«لم يسبق لي أن حضرت هنا من قبل.»

«الطعام هنا ممتاز.»

«حسناً.»

«ما الامر؟ تبدين صامته، هل تشعرين بالندم لأنك خرجت معي، لقد كنت منشرحة أكثر عندما اتصلت بك في الصباح.»

«على العكس، أنا سعيدة جداً، ولو أني لم أكن راغبة بالخروج معك فيا من شيء يجبرني.»
«اذن، دعينا نتصرف وكأننا بالفعل مسرورين، هل ترغبين بشيء من العصير أو الكولا؟»
«سأشرب أي شيء تختاره أنت.»
أدركت روث مدى تصرفاتها السلبية مع باتريك، ولكنها لم تكن قادرة ان تسيطر على تصرفاتها والتحكم بمشاعرها، ثم فكرت ـ أنه لو كان مع فتاة أخرى لكان أسعد مما هو عليه الآن ـ ولكن فكرة وجوده مع فتاة أخرى لم تـرق لها أبداً فاستدارت اليه قائلة:
«أنا آسفة.»
««هل حقاً أنك آسفة؟»
«لا أدري لماذا أتصرّف كالاطفال.»
«اذن، أنت مدركة لما تفعلين، والآن هل لك أن تبتسمي؟»
كان الطعام جيداً، وسرّت روث بصحبة باتريك الذي حدثها عن حياته في الغربة وعمله في فنزويللا. تركا المطعم حوالي الساعة الثالثة متوجهين الى السيارة. كان الجو قارساً ينذر بهبوط الثلج، وأسهبت روث متسائلـة عما سيحدث فيا يلي والى أين سيذهبان واذا بباتريك يقول لها:
«سأوصلك الى المنزل اذ لدي موعد في الساعة الرابعة.»
«باستطاعتي أن أستقل سيارة تاكسي اذا كنت في عجلة من أمرك.»
«لا، سأوصلك الى البيت، فلا يزال لدي الوقت الكافي».
وعندما نزلت روث من السيارة ودعته قائلة:
«أشكرك على هذه الدعوة اللطيفة، لقد سررت كثيراً».
وأجابها غير مصدق لما تقول:
«هل حقاً أنك سررت؟ وأنا كذلك.»
«مع السلامة.»

وأومأ برأسه محيياً وانطلق بسيارته، بينما كانت روث تراقبه حتى اختفى، ثم صعدت الى غرفتها وارتمت على السرير مجهشة بالبكاء.وحضرت السيدة لوسون اليها مستفهمة:

«آنسة روث، ماذا حدث؟»

ورفعت روث رأسها مجيبة:

«لاشيء، لاشيء، أرجو أن تتركيني وحدي قليلاً».

واذا كانت السيدة لوسون قد أخبرت والد روث أن ابنته عادت من الغداء بحالة يرثى لها لكنه ما سألها مما أشعرها بالارتياح، فلم تكن لترغب بمناقشة ظهر ذلك اليوم.

وبدأت تشعر بالتحسن في المساء وجلست مع والدها تناقشه بمختلف المواضيع، محاولة ابعاد باتريك هاردي عن ذهنها. وقبيل نهاية الجلسة بادرها أبوها القول:

«ما رأيك برحلة الى الولايات المتحدة؟»

ونظرت اليه بدهشة متسائلة:

«الولايات المتحدة؟ لماذا؟»

«لقد دعاني السيد دون هاملتون لأطلع على سير العمل في شركته. وهذه مؤسسة كبيرة تمتد من الشرق الى الغرب وبالطبع ستكون رحلة طويلة. فما رأيك؟»

وفركت روث يديها قائلة:

«لا أدري.... وكم تستغرق هذه الرحلة؟»

«ربما استغرقت ثلاثة أو أربعة أشهر، وفكرت بأن نغتنم فرصة وجودنا هناك لزيارة المكسيك، فهذه رغبتك منذ زمن بعيد ألا تودين تحقيق هذه الرغبة؟»

وبللت روث شفتيها مجيبة:

«نعم، نعم، على ما يبدو أنها رحلة جميلة ولكن ثلاثة أو أربعة أشهر فترة طويلة جداً.»

«هل تعتقدين أنك ستشعرين بالوحدة، حيث أني سأكون مشغولا عنك في

العمل؟ لماذا لاتطلبين من جوليا أن ترافقك؟»
«جوليا؟»

لم ترق لها فكرة السفر في هذا الوقت على الاطلاق. يالها من حماقة. ولكن هذا ماشعرت به وما باليد حيلة. ونظرت الى والدها قائلة:
«هل تعطيني فرصة لأفكر بالموضوع؟ لاتظن أني ناكرة للجميل. ولكنك تعلم أني سأكون بخير لو بقيت وحدي ريثما تعود أنت».
«أعلم هذا يابنيتي. وأعلم أن السيدة لوسون جديرة بالاعتناء بك ومساعدتك. ولكنني لاحظت أنك تبدين قلقة منذ عودتك من عطلة نهاية الاسبوع التي قضيتها في ويلتشاير ففكرت أنك بحاجة لاجازة تروحين بها عن نفسك».
«لا بأس عليّ أبداً. كل ما هنالك ربما تغيير الطقس».
«حسناً سأتركك تفكرين بالامر. لديك عشرة أيام لتقرري اذا اردت السفر معي».
مضى أسبوع كامل منذ اجتمعت بباتريك هاردي آخر مرة وعليها أن تقرر آجلا أم عاجلا لو كانت ستسافر. اتصلت بجوليا وأخبرتها بشأن الدعوة. وبالرغم من سرور جوليا الفائق لكنها أعلمتها بعدم رغبتها في السفر لان علاقتها ببيتر فورستر بدأت تتوطد وهي لاتود أن تتركه في هذا الوقت ليقابل فتاة أخرى.

بعد ظهر أحد الايام وبينما كانت السيدة لوسون تقوم بشراء بعض الحاجيات، ووالدها لايزال في المكتب. واذا بجرس الباب يرن. وأسرعت روث لتفتح الباب متوقعة أحد موزعي الاعلانات، وفوجئت برؤيتها باتريك هاردي بالباب. وخطر لها أن تلقي نظرة على ملابسها لأنها كانت ترتدي بنطلوناً من الجينز الباهت الذي احتفظت به لسنوات طويلة وبلوزة قطنية مقلمة، وربطت شعرها بمطاط الى الوراء حيث كانت ترتّب خزانة الملابس في غرفتها. وبادرها باتريك قائلا:
مرحبا روث، هل لي أن أدخل؟»
بالطبع أهلا وسهلا. هل تمانع في أن نصعد الى الطابق العلوي؟»

وتقدمته صاعدة الدرج، متمنية أن يكون بنطلونها نظيفاً من الخلف الى حد ما، فيا للمصادفة فبالرغم من كل ماتملك من ثياب، لدرجة أنها توزع على أقارب السيدة لوسون، انها تقابل باتريك مرتدية هذا البنطلون، ولكنها احتفظت به لأنه عزيز عليها.

بينما باتريك كان يرمقها باعجاب ثم قال:

«هل عطلّتك عن عملك؟»

اجابته روث وهي تحل ربطة شعرها محاولة الاصلاح بعض الشيء في هيئتها:

«لا، أبداً. لاشيء، ما رأيك بفنجان من الشاي، أم أنك تفضل شيئاً أخر؟»

أجابها وهو يتجه الى احدى اللوحات الزيتية المعلقة:

«لا أرغب في شيء الآن، هل هذه اللوحة لبيكاسو؟»

«هذه صورة عن الاصل، يحتفظ والدي بالاصل في مكان أمين.»

«ياللخسارة».

«انها لوحة ثمينة جداً، ولم توافق شركة التأمين على تحمل المسؤولية بدون وجود نظام انذار جيد ضد السرقة، وبما أن والدي لم يوافق على هذا النظام...»

وقطعت روث حديثها متنبهة الى باتريك الذي كان يحدق فيها وسألته:

«كيف حالك؟»

«بخير والحمد لله، كيف حالك أنت؟»

«وأنا بخير والحمد لله».

وحاولت ايجاد ما تتكلم عنه، فقالت:

«الطقس سيء جداً، أليس كذلك؟»

«بالتأكيد أنه سيء، ولكنه لايزعجني».

وحاولت أن تبدو هادئة وطبيعية بينما كانت تنظر اليه باستغراب. فقال لها:

«انك تتساءلين لماذا أنا هنا؟»

«بالفعل، هل هناك من شيء معين؟»

«بالطبع، هل تعتقدين أني قطعت كل هذه المسافة كلها بدون سبب؟»

«ربما ولم لا؟»

«في الحقيقة هناك سبب، اتصلت بك هذا الصباح ولما لم أجد جواباً قررت الحضور بنفسي.»

«بالفعل، خرجت مع السيدة لوسون لشراء بعض الحاجيات هذا الصباح».

«توقعت ذلك. وهل تمانعين بأن نتعشى سوية هذا المساء؟»

«أنا، أنا؟»

«أنا مدرك أني لم أعطك وقتاً كافياً لتهيئي نفسك. ولكني لم أكن أنوي رؤيتك قبل الآن.»

«لماذا؟»

«لأنني شعرت في لقائنا الاخير بأنني غير قادر على منحك ماتتوقعين مني.»

«والآن؟»

«ماكلّ مايتمنى المرء يدركه».

«ماذا تعني بقولك هذا؟»

«لم أستطع مقاومة الرغبة العنيفة التي اجتاحتني لرؤيتك. لا ألومك لو رفضت الدعوة فلك كل الحق. وأنا على يقين أنه لديك الكثير من المشاغل الاجتماعية والاصدقاء. ولكنني صممت على دعوتك الى العشاء.»

ارتعشت روث لهذه المفاجاة، وأخذت تتساءل عن سبب مجيئه، وماذا يريد بالتحديد، فهل أنه معجب بها شخصياً أم أنه معجب بجمالها. ولماذا عاد الآن بعد أن بدأت تقنع نفسها بنسيانه. وفي الواقع فهي غير مشغولة في ذلك المساء، فهي لم ترتبط بأية مواعيد ولم تخرج لاية حفلة منذ عودتها من عطلة نهاية الاسبوع تلك التي قضتها عند جوليا. من السهل أن تختلق له عذراً الان، ولكن هل ياترى تود الاعتذار منه فعلاً؟ وفجأة أجابته قائلة:

«أنا آسفة، فأنا مرتبطة بموعد مسبق.»

وأجابها بخيبة أمل:

«لقد توقعت ذلك.»

وودت روث أن تتراجعَ في كلامها وتقبل دعوته لما لاحظته من خيبة أمل على وجهه، فتابعت قائلة:

«أنا حرة غدا، فلماذا لاتحضر أنت لتناول طعام العشاء معنا وتتعرف الى والدي؟»

«هل تعتقدين أن والدك لايمانع بهذا؟»

«لا، أبدا، بل على العكس سيسر بمعرفتك.»

«حسنا قبلت الدعوة. ومتى تريدنني أن أحضر؟»

«السابعة والنصف، هل يناسبك هذا الوقت؟»

«نعم اتفقنا. سأذهب أنا الان لاتركك تتممين أعمالك.»

لم تكن روث ترغب بمغادرته، وتمنت لو طلبت منه البقاء. ولكنها أخفت مشاعرها وودعته وانصرف. ومن ثم عادت الى غرفتها وهي تشعر بالضيق والقلق مما لم يمكنها من التركيز على أي عمل تقوم به. فأعادت كلّ محتويات الخزانة باهمال، وجلست تفكر بذلك الانسان الذي أستولى على مشاعرها.

لم يفاجأ والدها عندما أخبرته بدعوة احد أصدقائها الى العشاء، لأنه كان ممن يشجعون الاشراف على علاقات أولادهم. ثم أخبرته روث كيف قابلته وأنه يعمل في اميركا الجنوبية.

«هل قلت أنه ابن عم والد جوليا؟ وهل هذا يعني أنه كبير السن؟»

«أظن أنه في منتصف الثلاثينات من عمره، لماذا؟»

«خطر لي أنه أكبر سناً من الشبان الذين ترافقينهم عادة أليس كذلك؟ أرجو أن تعلميني بصراحة ماذا يعني لك هذا الشاب بالضبط؟»

«لا يعني لي شيئاً، لماذا؟»

وها هي قد أنكرت الحقيقة مما آلمها كثيراً، وقالت:

«اذا كنت تعتقد أنه معجب بي، فهذا غير صحيح. نحن مجرد أصدقاء، فهو رجل لا يؤمن بالعواطف».

«وكيف عرفت ذلك».

وأجابت روث ببراءة:
«هو أخبرني.»
«هل فعل ذلك حقاً؟ يخيّل اليّ أنه انسان غير عادي. أصبحت متشوقاً لرؤيته».
وفي الواقع فقد كانت هناك صفات كثيرة متشابهة بين والد روث وباتريك مما جعلهما يندمجان في الحديث معاً. فكلاهما عصاميان يفضلان عملهما على أي شيء آخر، واقعيان يتمتعان بشخصية فذة.
ارتدت روث فستاناً أسود يحليه حزام فضي وعقصت شعرها بمشبك فضي، ولكن برغم العناية الفائقة التي بذلتها لتظهر بشكل لائق، كان كل ما صدر عن باتريك نظرة اعجاب ثم استدار ليندمج مع والدها في الحديث وكأنها غير موجودة على الاطلاق. وأخيراً أدرك باتريك اهماله لها واعتذر في حين أن والدها أجابه قائلا:
«سعدنا بوجودك معنا. يجب أن نلتقي مرة أخرى، ربما بعد عودتنا من الولايات المتحدة».
فوجىء باتريك بالخبر وقال مستغرباً:
«هل تعزمان الذهاب الى الولايات المتحدة؟»
«نعم الثلاثاء المقبل. ألم تخبرك روث؟ ربما لانها لم تقرر بعد فيما لو كانت ستذهب معي أم لا. فلو ذهبنا سيطول ذلك ثلاثة أو أربعة أشهر».
«هذا يعني أنها آخر مرة اراكما فيها، لانني سأغادر عائداً الى اميركا الجنوبية خلال ستة أسابيع. أيّ قبل عودتكما من الولايات المتحدة.»
«مع الاسف، هذا صحيح، ولكن أرجو ان تضعنا في برنامجك عندما تحضر في أي وقت الى انكلترا».
أجابت روث والالم يعتصر قلبها:
«هذا يعني بعد خمس سنوات.»
فقال والدها بدهشة:
«هل هذا صحيح، هل مضى عليك خمس سنوات لم تحضر فيها الى انكلترا؟ لا بد

أنك تحب تلك البلاد».

«حقاً اني أحبها. أرجو أن تأذنا لي بالانصراف فالساعة أصبحت الحادية عشرة. وأشكركما على حسن ضيافتكما. فقد كانت أمسية رائعة.»

وأجابه والدها:

«أسعدنا وجودك بيننا. أرجو منك ياروث أن تصطحبي السيد باتريك الى الباب».

فتحت روث له الباب بينما ارتدى باتريك معطفه. وقال لها:

«كانت أمسية جميلة جداً».

«هذا يسرّني».

«ولكنها كانت أمسية مملّة بالنسبة اليك. أليس كذلك؟»

أجابته روث وقد انتابتها موجة من العواطف الحالمة:

«وهل هذا يهمك؟»

«طبعا يهمني. هل حقا أنك ستسافرين الى الولايات المتحدة مع والدك؟»

«لا أدري. فكما قال والدي. لم أقرر بعد.»

«أتمنى ألاّ تسافري.»

«أحقاً ذلك؟»

«سأفتقدك كثيراً. وفي الغد عليّ أن أذهب إلى شمال البلاد لزيارة بعض الاقارب. سأعود يوم الاثنين المقبل. واذا كنتما مسافرين يوم الثلاثاء. فهذا يعني أني لن أراك ثانية.»

أجابته روث والالم يعتصرها:

«هل يهمك أن تراني؟»

لم يجبها باتريك ووقف صامتاً مذهولا وقد تغيرّ لون وجهه. ثم ودعهـا وانصرف.

٤ ـ دموع الوسادة

سافر والد روث الى نيويورك يوم الثلاثاء يصطحبه معاونه. وودعته روث في المطار، وأحست بالألم لأنها لن ترى والدها قبل أربعة أشهر. قادت سيارتها عائدة الى المنزل وهي تمني نفسها بأنه سيتصل بها.

وأحست روث بالوحدة وبدأت تشعر بالندم لعدم سفرها. هل بقيت من أجل هذا الرجل الذي لايود أن يرتبط عاطفياً بأحد؟ أم لأنه سألها ألا تسافر؟ وهل سيتصل بها بعد اليوم؟ كان الوقت ظهرا والهاتف لم يرن أبدا، ولم تبرح روث البيت بل كانت تتنقل من غرفة الى اخرى. والسيدة لوسون ترمقها بلهفة اذ اعتقدت أنها قلقة على والدها فقالت لها:

«أعتقد أن الطائرة هبطت الآن ياآنسة».

شعرت روث بالذنب عندما أدركت أن السيدة اعتقدت أن قلقها كان بسبب والدها لابسبب الشخص الآخر، وتمنت أن يرن جرس الهاتف لتقول له أنها لم تسافر بل بقيت هنا من أجله.

ونفد صبرها، فارتدت ملابسها واخبرت الخادمة أنها ستذهب في مشوار صغير وتعود بعد قليل.

«وماذا تريدينني أن اخبر والدك اذا اتصل في غيابك ياآنسة؟»

نسيت روث أنه من الممكن ان يتصل والدها كعادته عندما يصل الى فندقه ولكنها صممت على الخروج فقالت للسيدة لوسون:

«أرجو أن لايتصل لحين حضوري، أما اذا اتصل قبل ذلك فاخبريه أنني ذهبت لأرى صديقتي، لن يزعجه هذا.»

«هل ستتأخرين ياآنسة؟ هل انتظرك؟»
«لا اعتقد ذلك. في أية حال لاتزعجي نفسك بالانتظار، سأتدبر نفسي بأي شيء آكله عند حضوري. أرجو الاّ تقلقي لأجلي.»
ألقت روث نظرة على نفسها في المرآة تنم عن ارتياحها لمنظرها العام ثم خرجت لتنفذ ما صممت عليه.
قال لها باتريك أنه يسكن في شقة في ميدان كوين آن، ولكنها لاتدري رقم البناية والا الشقة ولا تظن أن أحداً يعرفه اذ أنه عاد للتو من فنزويللا. وما هدف هذه الزيارة فلم تعرف أيضا. نظرت الى ملابسها، وودت لو أنها لبست شيئاً آخر أكثر أناقة ولكنها لم ترغب في جذب انتباه السيدة لوسون إليها. وكان الطقس بارداً جداً والثلج يتساقط. وراودتها فكرة لو أنها قرعت باب شقته وفتحت لها الباب امرأة اخرى؟ ماذا سيكون رد فعلها؟ ومع أنها لم تطق هذه الفكرة فقد قالت لنفسها انه لو وجدت ذلك فانها ستختلق عذراً وهو أنها ستعطيه رسالة لوالد جوليا. وتعجبت كيف ان عقل الانسان يختلق الاعذار ليبرر سلوكه أحياناً. وتذكرت أيضاً أنها اذا اضطرت لارسال رسالة لوالد جوليا فيجب عليها أن تتصل بجوليا لتدعم حجتها. كانت الساعة حوال التاسعة مساء عندما وصلت روث الى شارع ملبورن متجهة الى ميدان كوين آن. أوقفت سيارتها الصغيرة ورأت أن هناك بنائين فقط مما خفف قلقها. ترجلت من السيارة وتوجهت الى البناية الاولى وكانت عالية جداً. وجدت حارس البناية واقفاً في الردهة الامامية فسألها عمن تريد:
«حضرت لرؤية السيد هاردي، انه ساكن جديد هنا منذ اسبوع على الاقل، هل تعرف رقم الشقة؟»
«هل هو شاب انكليزي؟»
«نعم هذا صحيح ولكن لونه أسمر لأنه عاش فترة في فنزويللا.»
«فنزويللا؟ آه، لقد تذكرت. هل اسمه باتريك جيمس هاردي؟»
«نعم انه هو.»

«انه يسكن في الشقة رقم ثلاثة واربعين. المصعد مقابلك».

شكرته روث واضعة جنيها في يده مما سرّه.

صعدت روث الى الشقة. كان الممرّ الطويل بارداً وهي تسير في الممر تقرأ أرقام الشقق. ٤١ . ٤٢ ـ ٤٣ ـ انها هذه، وقبل ان تتردد أو تغيّر رأيها ضغطت على الجرس وأخذت تنتظر. ولكنها لم تجد جواباً. فاعتقدت أنه لايوجد أحد في المنزل مما بعث الثقة بنفسها لتضغط على الجرس ثانية. واذا بالباب يفتح و باتريك نفسه يقف امامها. كان منظره يوحي بأنه لم يتوقع أي زائر، وقميصه مفتوح حتى الخصر. فبادرته قائلة وقد جفّ حلقها:

«مرحبا».

«ما الذي جاء بك؟ كيف عرفت أين أسكن؟»

«ألن تدعني أدخل أولا. ثم اشرح لك كيف أتيت؟»

تردد قليلا ثم فتح لها الباب وأدخلها الى الصالون.

كانت الصالة أنيقة جداً تنمّ عن ذوق رفيع وكان الدفء ينبعث من أطرافها. وقد فاحت رائحة البصل المقلي مختلطة برائحة الدخان الذي يدخنه باتريك. وكما خمنت روث كان باتَريك يعد بعض الطعام عندما حضرت. استأذنها دقيقة ليحرّك الطعام بينما أخذت هي تجيل الطرف في أنحاء الغرفة تتفحص محتوياتها وأثاثها.

عاد باتريك وقد زرر قميصه وأنزل أكمامه المرفوعة وقد بدا مهندماً أكثر. بادرته روث بالحديث:

«سافر والدي هذا الصباح الى الولايات المتحدة».

«صحيح؟»

«نعم ـ شقتك جميلة أليس كذلك؟»

«لماذا جئت؟»

كانت لهجته حادة فأشعرت روث بالذنب فقالت:

«اعتقدت أنك ستتصل بي لتعرف ما اذا سافرت مع والدي أم لا؟»

«لماذا تتوقعين أن أتصل؟»

شعرت روث بالضيق لطريقة حديثه السخيفة معها، وأحست أنه يهينها لأنها حضرت بدون دعوة:

«لماذا تسألني هكذا؟»

أحس باتريك بخطأ وحاول أن يفهمها قصده قائلا:

«اسمعي يا روث، أنا آسف اذا...»

فصاحت به روث بغضب:

«لم أطلب منك أن تدعوني باسمي مجرداً بعد. وأعتقد أنك قلت مافيه الكفاية».

ثم نهضت متجهة نحو الباب فأسرع باتريك وأمسكها من كتفيها وادار وجهها نحوه ليشرح لها قصده. وما أن أصبحت قريبة منه حتى قفز بعيداً عنها يرجوها أن تبتعد عنه بسرعة. ورجاها مرة اخرى أن تبتعد قائلا:

«كان عليك أن لاتحضري الى هنا أبداً».

«لماذا».

«أنا عازب، وأنت فتاة جذابة».

«ولكنك طلبت مني أن أبقى في لندن ولا أذهب مع والدي الى الولايات المتحدة».

«هذا خطأ مني».

«لماذا تدعوه خطأ؟»

«لأنه ليس لي الحق بأن أطلب منك أي شيء».

«لا تنزعج انه كان قراري في أي حال».

«عرفت منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها أنه يجب أن أتحاشاك».

أجابت روث وهي تشعر بالغثيان:

«لقد عرفت ذلك».

أمسكها باتريك مرة اخرى من ذراعيها قائلا بصوت مخنوق:

«روث، انك لاتعرفين شيئاً».

«دعني أذهب، أرجوك».

«هل رأيت انك لاتعرفين كم أنا مشتاق اليك، ولا اريدك ان تذهبي ولكن...»
«ولكن ماذا؟ انني لا افهمك».
«لا اقدر أن أتزوجك».

ارتعدت روث لهذا الكلام. فكيف بالله يقول لها هذا وكل حركة منه تنطق بأنه يحبها. لماذا يحرم على نفسه الزواج من الفتاة التي تحبه ويحبها؟ فسألته:

«بحق الله ياباتريك ما هذا الهذيان؟ لماذا تعذّب نفسك؟»
«لأنني كما قلت لك في ويلتشاير، لا أريد ان ارتبط عاطفياً بأية فتاة. لا اريد أن أتزوج امرأة غريبة لاتستطيع أن تعيش معي في اميركا الجنوبية، ولذلك أتحاشى المغامرات العاطفية جداً.»
«أنت لئيم».
«أفضل لك ان تلعنينني الآن على أن تندمي في المستقبل على علاقة فاشلة».

لملمت روث حاجاتها وحملت معطفها وسارت نحو الباب عندما سمعته يقول لها:

«انني متأكد بأنك ستستقلين أول طائرة غداً الى الولايات المتحدة».
«لا اعتقد ذلك، فأنت لم تكن السبب الرئيسي لبقائي في لندن، اذ لدي أسبابي الاخرى».

ثم صفقت الباب خلفها وذهبت. وشعرت بالخيبة عندما وجدت نفسها في السيارة ولم يركض باتريك خلفها.

حضرت جوليا يوم الجمعة لزيارة روث في لندن حيث كانت على وشك ان تخطب الى بيتر. كان لديها الكثير من الحديث لتشارك صديقتها فيه. وبعد ان حدّثتها طويلا لاحظت وجه روث الشاحب فسألتها:

«هل هناك شيء؟ ان منظرك يدل على التعب وكأنك لم تنامي؟»

حاولت جوليا ان تخفف عن روث لتخبرها ما الامر، فقالت لها:
«لا تخفي عني شيئاً يا روث، فنحن صديقتان منذ أيام الطفولة ولقد هالني

منظرك الشاحب، هل هناك رجل في الموضوع؟»
«انك واهمة يا جوليا. فليس في الأمر شيء».
«كلامك ينمّ على أن هناك شيئاً ما تخفينه عني، قولي من هو؟ هل أعرفه؟»
كانت روث محرجة جداً أن تخبر صديقتها بما حدث حيث شعرت بالمهانة منذ خروجها من شقة باتريك. ولكن جوليا أصرّت على أن تعرف الحقيقة متذرعة بحجة الصداقة القديمة. فقالت لها روث وهي تحاول اخفاء مشاعرها:
«نعم يا جوليا، هناك رجل. ولكن أرجو أن لاتحرجيني بأسئلتك عن اسمه».
«لماذا؟ لماذا تدعين أي انسان يسبب لك كل هذا الألم والقلق. لقد اعتقدت دوما بأنك جديرة بمواجهة أي مشكلة وأي انسان»
«ها أنت تكتشفين ضعفي الآن».
«روث، هل هذا الانسان هو باتريك؟»
أجابتها روث بلهجة تشوبها المرارة لما حلّ بها من غضب عند لفظ هذا الاسم صائحة:
«باتريك، ما هذا الباتريك».
«آه ياروث لقد عرفته. انه باتريك اذن».
«وافترضي انه باتريك».
«اريد ان أعرف. هل هو باتريك أم لا؟ اجيبيني».
«نعم انه باتريك. وددت ان اخبرك من قبل ولكنني خشيت ان تقولي بأنك لفت انتباهي الى ذلك. أرجوك لاتلوميني.»
«لن أفعل هذا، ولكن كيف حصل هذا؟ متى رأيته؟»
«عدة مرات، منذ أن استأجر شقة في لندن واتصل بنا».
«باتريك اتصل بك، ماذا قال؟»
«دعاني الى الغداء».
«وهل ذهبت معه؟»
«بالطبع ذهبت ولم لا؟»

«ولكنني ظننت أنه لايعجبك من تصرفك معه يوم خرجنا سوياً في ولتشاير».
«كان هناك سبب لهذا التصرف، أفضل أن لاأشرح التفاصيل».
«اذن دعاك الى الغداء وماذا بعد؟»
«زارنا هنا في البيت».
«هذا ليس تصرّف باتريك ابداً. انه لم يهتم بامرأة بهذه الطريقة مطلقاً».
«وكيف تعرفين، كنت طفلة قبل مغادرته انكلترا».
«كان عمري سبعة عشر عاماً، كنت أفهم بما فيه الكفاية لأعلم هذا الموضوع. لقد كانت ابنة عم والدتي...»
«أعلم عنها».
«هل أخبرك باتريك بقصتها؟»
«نعم».
«لماذا؟»
«لأسباب واضحة. ليفهمني أنه لاينوي الزواج من احد. أليس جميلا منه أن يفعل هذا؟»
«ولكن لماذا جاء لزيارتكم؟»
«جاء ليدعوني الى العشاء، وأنا ادعيت بأنني على موعد سابق، ودعوته أن يتناول طعام العشاء معنا في اليوم التالي».
«وقد حضر بالطبع».
«نعم، واصبح صديقاً لوالدي. فلهما الكثير من الصفات المشتركة».
«وهل رأيته بعد ذلك اليوم؟»
«ذهبت الى شقته يوم الثلاثاء مساء بعد سفر والدي».
«لا أصدقك!»
«هذه هي الحقيقة. توقعت ان يتصل بي ليعرف اذا كنت قد سافرت مع والدي أم لا. ولكنه لم يفعل».
«ولم تذهبي الى الولايات المتحدة من أجله؟ لو فعلت ذلك لأنستك متعة الرحلة

ذكراه».
«هل تعتقدين أنه باستطاعتك نسيان بيتر لو سافرت؟»
«ولكن علاقتنا مختلفة.»
«كيف؟»
«أنا وبيتر نحب بعضنا كثيراً».
«حسناً، واذا أردت أن تعرفي فانني احب باتريك كثيراً.»
«وكيف ذلك وانت لم تعرفيه الا منذ مدة قصيرة؟ افهم اذا قلت لي أنك معجبة به وتسعدين بصحبته ولكن ان تحبيه فهذا يتطلب شعوراً أعمق من الصداقة».
«أعرف ذلك».
«هل تعنين أنك عندما زرتيه في شقته...»
«لا، لا، تظني ذلك. لم يحصل اي شيء من هذا القبيل».
«فهمت، ولقد حذرتك منه».
«ألم تقولي أنك لن تلوميني؟»
«آه، روث، أقولها فقط متعاطفة معك لأنك أحببت شخصاً مثله. انه أكبر منك وأكثر خبرة».
«أتمنى لو أنه يعرفني على حقيقتي. فأنا لايهمني سنه أبدا».
«لماذا تقولين هذا؟»
«يا الهي يا جوليا. انه مسافر بعد خمسة اسابيع والله أعلم كيف سيصبح حالي من بعده، انني أحبه حبا كبيراً».
وأجهشت روث بالبكاء، حاولت جوليا أن تخفف عنها قائلة:
«خففي عنك ياعزيزتي، فكل انسان يواجه المتاعب في حياته، وأنت قليلة الخبرة بعد وأرجو أن تزودك هذه التجربة بالقوة والخبرة. وقد كنت تعاشرين أصدقاء من نوعك. وانه لسوء حظك ان يكون باتريك مختلفاً عنهم. هل تعرفين شعوره نحوك؟»
«يبدو أنني اخطأت التخمين. لا أدري، فمن الممكن أنه معجب بمظهري الخارجي

فقط».

«هل لمسك؟»

«لا، ولكنه طلب مني أن لا أسافر الى الولايات المتحدة».

«هل هذه حقيقة؟»

«نعم، طلب مني ذلك يوم حضر للعشاء في بيتنا».

فركت جوليا يديها بحيرة من أمر باتريك. فلم يفعل هذا ابداً من قبل وقالت:

«انه لم يتصرّف هكذا أبداً».

«أعلم ذلك، وهذا ماشجعني على الذهاب الى شقته».

«وماذا حصل؟ آسفة ياروث اذ أسألك كثيراً. ولكنني قلقة عليك وبودي أن أستطيع أن أفعل شيئاً هل سرّ عندما رآك؟»

«لا، لم يفرح. بل غضب جداً مما دعاني لترك الشقة حالاً».

«ولم تريه منذئذ؟»

«لا».

«انني محتارة ما أفعل ما رأيك أن أطلب من والدتي أن تدعوكما في عطلة نهاية الاسبوع لزيارتنا».

«لا، لا أنوي أن أراه ثانية».

«ولكنك تعذبين نفسك هكذا».

«لن أفعل، سأسافر ربما الى جنوب فرنسا فالطقس هناك جميل في هذا الوقت».

«انها باردة».

«ولكنها جميلة. جوليا دعك من هذا كله أخبريني عن نفسك. متى تنويان الزواج؟ وأين ستسكنان؟»

بدأت جوليا تحدثها عن نفسها. ثم حضرت السيدة لوسون تدعوهما الى العشاء. وبعد العشاء تحدثتا عن ايامهما الماضية واستمعتا الى الموسيقى.

وعندما أوت روث الى فراشها لم تستطع النوم بل كانت دموعها تنهمر بغزارة مبللة الوسادة.

٥ ـ حبة المنوّم

غادرت جوليا لندن بعد الظهر بعد أن أمضت الصباح كله تتسوّق مع روث.

لم يكن لدى روث أي رغبة في التسوّق ذلك اليوم ولكنها أرادت أن تشارك صديقتها في انتقاء فستان جميل للقاء بيتر، ووجدتا الفستان في احد المحلات الصغيرة في شارع اكسفورد.

طلبت جوليا من روث قبل وداعها أن تعتني بصحتها أكثر، واذا كان بالامكان أن ترى الطبيب الدكتور غرين فمن الجائز أن يعطيها شيئاً لتهدئة اعصابها. ولكن روث أجابتها:

«لاتقلقي فأنا بخير وسأعتني بنفسي، لاتقلقي».

قادت جوليا سيارتها مودعة روث وهي تتمنى لو بامكانها مساعدتها.

اتصل مايكل فريمان داعياً، روث لتصحبه الى احدى الحفلات، ولم تكن هذه المرة الاولى التي يتصل بها منذ عودتها من عطلة نهاية الاسبوع التي أمضتها في ويلتشاير ولكن في كل مرة كانت تختلق الاعذار حتى تتملص من الخروج معه. أما اليوم فالسيدة لوسون ذهبت لزيارة أقاربها ولن تعود قبل مساء يوم الاحد، وأحست بوحدتها وبفراغ البيت بعد سفر والدها، فقبلت دعوة مايك. وارتدت سروالاً أبيض ضيقاً وبلوزة من الكروشيه تكشف عن جمال صدرها. ونظر اليها مايكل لدى دخوله معجبا وقال:

«بدأت أشك في نفسي، وأظن أن هناك شخصاً آخر».

«لا تكن سخيفاً مايك، دعنا نذهب الآن الى الحفلة. على فكرة أين ستقام هذه الحفلة؟»

«الحفلة في منزل صديقاتي، يعملن كممرضات».

كانت حفلة صاخبة تلائم من كان في عمرهم، وكان الطعام لذيذاً وكثيراً، والاضواء خافتة وأجساد الراقصين تتمايل مع صوت الموسيقى الصاخبة.

وحوال الساعة الواحدة صباحاً، طلبت روث من مايك أن يوصلها الى البيت. احتج مايك بأن الوقت لايزال مبكراً للعودة الى البيت والحفلة لاتزال في أوجها. ولكن روث أصرّت على العودة. وعندما وصلا الى بيتها توقع أن تدعوه الى فنجان قهوة أو على الاقل أن تقبّله شاكرة، ولمّا لم تفعل أحس بخيبة أمل كبيرة، ولكنها لم تأبه لذلك وترجلت من السيارة تاركة اياه مزمجراً غاضباً وقال:

«وهل لي أن أراك ثانية؟»

.بالطبع».

ثم ودعته واتجهت نحو باب المنزل. حاولت روث ألا تفتح الباب أمام مايك لئلا يعرف أنها وحيدة في البيت، بل ضغطت على الجرس موهمة اياه أنها بانتظار احد من الداخل ليفتح لها حتى لاتُعطيه الفرصة للعودة اذا شعر انها وحيدة، وبينا كانت تحاول اخراج المفتاح من حقيبتها لمحت شخصاً قادماً نحوها في الظلامِ. فشهقت لهول المفاجأة غير مصدقة عينيها. انه باتريك. فسألتـه باندهاش:

«ماذا تفعل هنا؟»

فأجابها باستهزاء:

«بالطبع لك أن تسألي، أين كنت؟»

ولولا شعورها بعزة النفس لانهارت أمامه ولكنها تمالكت نفسها وقالت مرتجفة:

«ليس من حقك أن تعرف».

«أعتقد أنه من حقي. وماذا تفعلين الآن؟»

«أبحث عن مفتاح البيت في حقيبتي، اذا كان يهمك أن تعرف... آه، لقد وجدته.»
وقبل أن تحاول اخفاء المفتاح عن باتريك، اختطفه من يدها وفتح الباب ودخل الى البيت مضيئاً النور ثم سألها:
«ألا تودين الدخول أم أنك ستبقين في الخارج؟»
«ليس لك الحق بدخول بيتي قبل أن آذن لك أنا بالدخول».
«لماذا؟ لانك وحدك؟ آسف لذلك ولكن لا أستطيع أن أتحدث معك في الخارج لأن درجة الحرارة تحت الصفر».
لاحظت روث وجهه الشاحب ونظراته الزائغة ومنظره غير العادي ثم سألته:
«كيف عرفت أنني وحدي في البيت؟»
«بعد أن تورمت يداي من الطرق على بابكم، حان لي أن أدرك أنه مامن أحد في الداخل، فطرقاتي تقلق الشيطان».
ثم تابع بلهجة ألطف:
«والآن هل لنا أن نصعد الى الصالة؟»
أجابت روث مجبرة:
«بالطبع اذا أردت ذلك».
وأخذت تفكر بسبب وجود باتريك في منزلها، وهل انتظرها طويلا في هذا الطقس البارد؟ وما الداعي لذلك؟
وما ان دخلا الصالة حتى خلعت روث الشال، ثم أدركت أنها تلبس البلوزة الكروشيه المفتوحة، وأحست بالخجل عندما لاحظت أن باتريك يحدق فيها، ثم قال:
«هل لديك شيء ساخن للشرب».
«بالطبع. سأعمل لك الشاي حالا».
«لا أريد أن أزعجك بعمل شيء، لولا أنني أشعر بالبرد قليلا».
وأحضرت روث له الشاي وتناول منها الفنجان وسألها:
«لم تجيبي عن سؤالي بعد».

«وأنت لم تجبني عن سؤالي، ماذا تفعل هنا في مثل هذه الساعة؟»
«هل تصدقينني اذا قلت أنني كنت بانتظارك».
«ولكن لماذا تنتظرني؟»
«الا تعرفين؟»
«بالطبع لا، كيف لي أن أعرف.»

حاول باتريك التهرب من الاجابة ولكن روث أصرّت على معرفة الجواب فقال لها:

«اتصلت بي جوليا حوال الساعة الثامنة مساء وكانت قلقة عليك».
«آه فهمت».

وتابع باتريك قائلا:

«أخبرتني جوليا، بأنها غادرتك اليوم بعد الظهر وتركتك متعبة، وأنك حزينة وعيناك متعبتان وكأنك لم تنامي لعدة أيام. ولا أفهم ماعنت جوليا بقولها الا اذا كانت تعني أنك منهكة من كثرة السهر في الحفلات حتى ساعات الصباح الباكر».

«أؤكد لك انني بحالة صحية جيدة، وحالتي النفسية ممتازة، ولكنك لم تقل لي لماذا أنت هنا في هذه الساعة من الليل، مادمت قلت أن جوليا اتصلت بك في الساعة الثامنة مساء».

«هل تعنين أنه وجب عليّ أن آتي في وقت أبكر، بالفعل أتيت في الساعة الثامنة والنصف ولم يفتح لي أحد الباب، وحقاً ساورتني الظنون السيئة بعد الذي أخبرتني به جوليا. فكرت أن أخلع الباب متوقعاً رؤية زجاجات الدواء الفارغة ملقاة على الارض، ولكنني تسلقت أنابيب المجاري ودخلت احدى الغرف، وأظن أنها غرفتك ولم أجد سوى زجاجات العطور وبعض الملابس الملقاة على السرير».
«ألم يرك أحد؟»

«لحسن الحظ لم يرني أحد. يجب أن تضعوا انذاراً ضد السرقة حيث أنه من السهل الدخول الى بيتكم بدون أن يشعر بذلك أحد. في أي حال لم أجد أحداً في

البيت فعدت الى شقتي ولكنني لم أستطع الراحة. فاتصلت بك ثانية ولكن مامن مجيب. فنفد صبري وقدت سيارتي مرة ثانية الى هنا. كان هذا قبل ساعة تقريباً، واذ بك قادمة الآن صحيحة معافاة سعيدة تصطحبين شاباً ايضاً. ولماذا لم يدخل؟ ألانك لمحتني في الظلام؟»

«يا الهي لم أرك أبداً، ولذلك فوجئت عندما رأيتك قادماً».

«أين كنت؟»

ترددت روث بالاجابة ثم قالت:

«ذهبت الى حفلة».

«أين؟»

«في بيت أصدقاء مايك».

وقال لها بلهجة ساخرة:

«وهل مايك هو الذي أوصلك الى البيت؟»

«نعم. ولماذا تشعرني وكأنني ارتكبت خطأ؟ أليس من حقي أن أذهب الى حفلة ما؟ لم أدر أن جوليا اتصلت بك وأنك شعرت بمسؤولية الأخ تجاهي».

«عليك اللعنة! ان الغيرة تكاد تأكل قلبي. لا أعتقد أن هذا شعور أخوي أبداً، انه شيء مدمّر».

«لا أفهم ما تعني. والافضل لك أن تذهب الى بيتك».

«لماذا تطلبين مني هذا بينما تتوقين لبقائي هنا. أليس هذا صحيحاً يا روث؟ ألم تفهمي بعد...كم أنا راغب فيك. فمنذ تركتك آخر مرة وأنا لاأستطيع النوم حتى ولا الاكل. كنت أمرّ يومياً أمام بيتك ولكن كبريائي منعتني من طرق بابك».

«ولماذا تقول لي هذا؟»

«لانها الحقيقة».

وبدا عليه الاضطراب وتابع قائلاً:

«وبما أنك معتادة على علاقات عابرة مع الشبان، لم لا نتمتع بصحبة بعضنا الى أن أسافر؟»

وأحست روث بالخطر والخوف، وسألته فيما لو رغب بفنجان أخر من الشاي، ولما وافق ذهبت لتحضرَه مضيفة الى الفنجان حبة منوم وعادت لتقدمه له.

ولما حاول أن يقترب منها معانقاً اياها حاولت أن تفكر بمخرج من ورطتها وهي وحيدة في المنزل، ولاحظت يديه المتسختين من تسلق الانابيب فقالت:

«لم لا تصعد الى الحمام فهو بقرب غرفتي وتغتسل، وسألحق بك حالاً».

فنظر اليها بامعان وراقت له الفكرة وقال:

«أرجو ألاَ تهربي مني وأنا لن أخيّب ظنك أبداً».

وبعد أن انتظرت قليلا في الصالة وبعد ان توقف صوت الماء المتدفق في الحمام، بدأت بصعود درجات السلم بحذر وهي تحاول أن تفكر كيف يمكن لها اقفال باب غرفتها، فهل يمكنها ياترى أن تتسلل الى الحمام وتقفل الباب أولا ثم تعود لتقفل باب غرفتها أم كيف تتصرف... هل تهرب من المنزل... ولكن مامن انسانة عاقلة تقدم على مثل هذا في مثل هذا الوقت من الليل. وكانت قد اقتربت من غرفتها ولما لم تسمع أي حركة حاولت أن تنظر من شق المفتاح فرأت باتريك مستلقياً على السرير بلا حراك فتسللت داخل الغرفة مقتربة منه على رؤوس أصابعها لتتأكد من أنه غارق في سبات عميق. وعندها شعرت بالارتياح وتنفست الصعداء وأخذت ثوب نومها وانسلّت خارجة من الغرفة واتجهت الى غرفة أبيها. وبعد أن قضت حوال ساعتين من الزمن تحدق في سقف الغرفة مفكرة بأسباب تهجمه عليها بهذه الطريقة استسلمت للنوم منهكة من التعب.

استيقظت روث في الساعة الثامنة صباحاً وقررت أن تذهب الى المطبخ لتحَضر لنفسها فنجاناً من القهوة قبل أن يصحو باتريك، ووضعت الابريق على النار وبدأت تتصفح جرائد الصباح ريثما يغلي الماء. وبينما كانت تصبّ القهوة أحست بأحد يمكسك كتفها من الخلف.

جفلت روث وسكبت الماء على طاولة المطبخ والارض. أسرع باتريك يحمل قطعة من القماش وبدأ بتجفيف الطاولة. وما هي الا لحظات حتى عاد كل شيء على مايرام.

وسألها باتريك:
«هل أنت بخير؟»
«نعم شكراً على اهتمامك كان ما حصل غباء مني».
لم يجبها باتريك.
وسألته:
«هل ترغب بفنجان من الشاي؟»
«نعم اذا تكرمت».
بدا الارهاق على باتريك وقد أمسك رأسه بين يديه وقال:
«هل لديك بعض الاسبرين، فأنا أشعر بصداع عنيف؟»
«سأبحث لك عنها فأنا لا أعرف أين تضعها السيدة لوسون».
وجدت روث بعض الاسبرين في خزانة المطبخ وأعطته اياها. وسألته:
«هل ترغب بتناول الشاي هنا أم في الصالة؟»
«أفضل هنا فالمطبخ دافىء».
جلست روث الى المائدة تحتسي القهوة ببرود بينما بدا باتريك عصبي المزاج قلقاً وأخذ يزرع المطبخ جيئة وذهاباً. ثم نفذ صبره وصاح بها قائلا:
«أرجو أن تعبري عن مشاعرك وكفاك خبثاً».
«لا أفهم ما تعني».
«لاتفهمين... عجيب، هل أنت معتادة على مثل هذه التجارب حتى أنه لايهمك؟»
«سيّد باتريك، أرجوك أن تضبط نفسك وتنهي الشاي وتخرج من هنا قبل أن تعود السيدة لوسون وتجدك، فهذا لايعجبني.»
«حسنا سوف أذهب الآن، ومع أنك لم تتوقعي مني أن أعتذر على ما بدر مني وما حصل بيننا ليلة أمس ولكنني آسف جداً لما حصل».
«لا داعي للاعتذار».
وفجأة أدركت روث مصدر قلقه، لقد قضى ليلة أمس هنا في بيتها ووجدها هذا الصباح في المطبخ وهي لاتزال في ملابس النوم، فلا بد أنه حسب أنها نامت

معه ليلة أمس. فبعد أن تناول الحبة التي وضعتها روث له كان متعباً للغاية ولم يذكر ماذا حصل بالضبط ولذلك فهو قلق و يعتذر لها.

أرادت روث أن تخبره الحقيقة ولكن هناك مامنعها من ذلك وقررّت أن تدعه لاوهامه وتعذيب ضميره. وتركته وصعدت الى الصالة، وفتحت النافذة المطلة على الشارع وبدأت تراقب السيارات والناس في غدوهم ورواحهم واذ بها تسمع خطوات خلفها. واستدارت لتجد باتريك قادماً ليأخذ معطفه حيث تركه ليلة أمس، وبدا عليه الحزن والصمت، فبادرته روث قائلة:

«هل لي أن أراك ثانية؟»

«الرأي لك».

«ماذا تعني بذلك؟»

«أعني انه لايمكنني أن أفعل شيئاً لتغيير الوضع. وكل ما أستطيع قوله أنني أتمنى لو لم يحصل شيء».

«هل تعني أنك تتمنى لو أنك لم تقابلني أبداً؟»

«انت تعرفين حق المعرفة أني لا أعني هذا ابداً. يالهي كم أنت جذابة وجميلة ولكن...»

«ولكنك لاترغب في أن ترتبط عاطفياً بأحد».

«أتمنى لو كان هذا بامكاني ولكن فنزويللا ليست بلداً مناسباً لفتاة اوروبية. وفي أي حال لا أستطيع الزواج منك. فأنت لست فتاة عادية. أنت ابنة المليونير جوزيف فاريل. ولن أطمع يوماً بالزواج منك، فليس بامكاني تلبية رغبات والدك».

«كيف تعرف ماهي رغبات والدي؟»

«روث، أرجو أن تكوني عاقلة. إنك تعلمين تمام العلم بأن والدك ليس مليونيرا فقط ولكنه يتوقع ممن سيتقدم للزواج من ابنته أن يكون مليونيراً. عشت حياتك مرفهة تحصلين على ماتتمنين ويخطر بذهنك. وامكانياتي لن تساعدني على تنفيذ وتلبية حاجاتك وليس باستطاعتي تأمين الحياة التي اعتدت عليها».

«يا الهي كم يسهل عليك أن تفعل ماتريد ثم تذهب وكأن شيئاً لم يكن».
«أرجو أن تفهميني، فهذا ليس من طبعي، ولقد اعتذرت لك».
«ما أسهل الاعتذار، تفعل ماتشاء وتقول آسف؟»
«أرجوك، كفاك بالله عليك كفيّ».
«غدا ستسافر الى مكان عملك وتنسى».
«روث أرجوك، ماذا تريدين مني. هل تريدينني أن أتقدم للزواج منك؟ ماذا سيقول والدك؟»
«لماذا تضع والدي حجتك؟ ولماذا تعتقد بأنني أريدك أن تتقدم لطلب يدي؟ وكما ذكرت بنفسك، ماذا لديك لتقدمه لي؟»
صاح باتريك وقد نفدت قوة احتماله قائلا:
«ياالهي ياروث لماذا لاتكونين صادقة معي ومع نفسك؟ أنت لاترغبين بالزواج مني فأنا مجرد كيميائي في شركة تعمل في مناخ لايحتمله أقوى الرجال، عدا عن أني أكبر سناً منك، وليس لدي المال، وبيتي في بورتوريكو لايحتمل النظرة الثانية ممن هم في مستواك. والحياة هناك جافة وخالية من أية تسلية على عكس الحياة التي اعتدت عليها هنا في لندن. انها حياة الجحيم ولكنها حياتي.»
نظر اليها باتريك بأسف وعيناه تقطران بالاسى وقال:
«حاولي أن تفهمي ما أردت أن أقوله لك جيداً».
«أرجوك أن تذهب الآن.»

٦ ـ كذبة غير بيضاء

سافرت روث بعد اسبوع الى نيويورك لتلحق بوالدها، بعد أن يئست من عودة باتريك اليها حيث قال لها أنه لن يتصل بها ولكنها اذا أرادته فعليها أن تتصل به، ولكن لماذا تتصل به.

قابلها والدها في المطار وأخذها الى الفندق الذي يقيم فيه. كان فرحا بلقائها ولكنه ادرك أن هناك سبباً ما لحضورها اليه. كان من طبعه ألا يتدخل في شؤونها أبدا. ولذلك لم يلح عليها باسئلته ليعرف ماالذي أتى بها الى نيويورك. ولكنه كان متأكداً من انها ستخبره بنفسها عندما يحين الوقت المناسب لذلك. أما روث فلم تقل أكثر من كونها أحست بالوحشة واشتاقت لرؤيته.

سكنت روث مع والدها في بيت جميل مريح قرب شركة هاملتون. كانت تمضي أوقاتها في التسوق والتجول حول المدينة لمشاهدة روائعها، أو في زيارة أصدقاء والدها والمسرح. وبالرغم من انها أمضت وقتاً طيباً في بداية رحلتها لكنها بدأت تشعر بالملل وبدأ القلق يساورها، لو ان باتريك قد صادف فتاة اخرى واتخذها صديقة بينما هي غائبة.

وفي احدى الليالي دعاها والدها الى العشاء، وذهبت الى غرفته حيث كان يعقد ربطة عنقه، وأخذت تساعده في ذلك ثم قالت:

«هل لدينا وقت لنتحدث قبل أن نخرج؟»

أجابها والدها:

«بالطبع لدينا وقت، حتى لو لم يكن لدينا وقت سأجده لك، ماذا تريدين قوله؟

هل ستقولين لي لماذا التحقت بي هنا؟»

انتهت روث من مساعدة والدها في عقد ربطته ونظرت اليه بدهشة:

«اذن انت تعرف شيئاً ما؟»

ابتسم والدها قائلا:

«هناك سبب لكل شيء. هل المسألة تتعلق بذلك الشاب هاردي؟»

حملقت روث به وقالت:

«كيف خمنت ذلك؟»

«يابنيتي العزيزة. هل تعتقدين أن ثلاثين عاماً من العمل غير كافية لتعليمي شيئاً عن طبيعة الناس البشرية. وكونك ابنتي فبالتأكيد استطيع قراءة أفكارك أكثر من الآخرين».

«ماذا تقول عنه؟»

«هاردي؟ أعجبني. فله عقل يقظ متفتح يعرف ماذا يريد وماذا يفعل. وأنا أحب صنف الناجحين أمثاله».

«ولكنه لايملك المال».

«وهل هذا يهم؟»

«من الممكن. ولكنني أحبه».

خيّم الصمت لبضع دقائق. ثم التقط والدها أنفاسه وقال:

«هل أفهم. انك تودين الزواج منه؟ أليس كذلك؟»

«لا، ليس تماماً».

عبس والدها وقال مستفسراً:

«ما المشكلة اذن هل هو متزوج؟»

«لا. لا انه غير متزوج بعد»

اجابها والدها وقد نفد صبره:

«اذن ما هي المشكلة؟»

«انه لا يرغب بالزواج مني».

«ماذا قلت، لايرغب بالزواج منك، لماذا؟»

«يقول انه غير مستعد لمرافقة زوجة بيضاء الى فنزويللا حيث المناخ لايطاق، وفي اي حال انه يفكر بأنني فتاة مدللة لايستطيع أن يؤمن لي مستوى المعيشة الذي تعودته».

«هذا جائز».

«لا، هذا غير صحيح، فأنا لست مصنوعة من الزبدة لأذوب في الحرارة، ولست جاهلة لأقارن الحياة في فنزويللا بمستوى الحياة في انكلترا».

ونفث والدها غليونه وقال:

«لا بدّ أن هذه هي حكمة العمر».

«بابا، انني احبه. لم أشعر بمثل هذا الشعور من قبل. وأنا مستعدة أن أسكن حتى في الغابات الاستوائية اذا اضطررنا لذلك ما دمت معه».

«وماذا عن مشاعره نحوك؟ بغض النظر عن رفضه الزواج بك؟»

«ماذا تعني؟»

«أعني أنه لم يقل الحقيقة. ربما يتوقع أن أعرض عليه مشروع عمل ليعود الى انكلترا».

أجابت روث بغضب:

«بابا، باتريك ليس من هذا النوع».

«كيف؟ ولم تجيبي على سؤالي بعد؟»

«لا أستطيع الاجابة، لا أدري».

«ببساطة، هل يحبك أم لا؟»

«انه معجب بي لاشك».

وأجابها والدها متنهداً:

«هه، هل هذا كل شيء، انه لشيء عظيم».

«آه، بابا».

ولم تحتمل روث ان تحتفظ لنفسها بما حصل يوم حضر باتريك اليها في

البيت ونام هناك. وأخبرته كيف كلن رد فعله في الصباح. وماذا قال لها قبل أن يترك البيت. وعندما انتهت روث من كلامها. خيّم الصمت عليهما حتى قطعة صوت عود الكبريت ليشعل والدها غليونه وبينما ظنت أنه غاضب أجابها بهدوء:

«حسناً، روث، هناك طريقتان لحل هذه المشكلة».

هزت روث رأسها موافقة لتصغي اليه يشرح حله ولكنه استمرّ يدخن غليونه بصمت. ثم همهمت روث:

«نعم انني مصغية اليك. ماذا بامكاني أن أفعل؟»

«اما ان تنسيه نهائياً وكأنه لم يمر في حياتك، أو أن تقنعيه بالزواج».

«هل سترضى عن زواجي منه».

«اوافق بناء على شروط».

«ما هي هذه الشروط؟»

«ان يسمح لي بأن أقدم مشروع أبحاث في أي بلد يختاره هو مقابل أن يخلي سبيلك».

«بابا. كيف تطلب منه أن يخلي سبيلي وهو يرفض الزواج بي».

«دعيني أكون صريحاً معك يابنيتي. أعجبني باتريك جداً ولولا سفري الى الولايات المتحدة لاجتمعت معه مرة اخرى. ولاتنسي أن عملي ممتاز ويروق لي أن امول مشروع أبحاث من هذا النوع بكل سرور».

«ولكن هذا ابتزاز لعواطفه».

«انها حيلة فقط لمعرفة اذا كان يحبك ام لا».

وبعد يومين عاد جوزيف الى لندن وترك روث في نيويورك. لقد كانت في دوامة من التفكير. لم تستطع ان تتوصل الى حل لمدة اربعة أيام حتى رجع والدها الى نيويورك. استقبلته روث في المطار وعادا سوية الى المنزل. كانت روث متشوقة جداً لتعرف ماذا حصل مع والدها وباتريك فسألته:

«ماذا كان رده؟»

«لقد رفض»

ابتسمت روث برضى وقد لاح لها قبس من الامل وسألت والدها ماذا قال له:

«قال لي أنه جدير بتطوير عمله وتمويل مشاريعه دون الاعتماد على أحد. وقد أنكر رغبته في الزواج منك وسألني من أين جاءت لي هذه الفكرة. وقال أيضا أنه سيعود الى فنزويللا خلال اسبوعين ومن الجائز ألا يراك أبداً.»

ذهب الامل وانقطع الرجاء لدى روث وهي تستمع الى والدها يحدثها عما قاله باتريك. ثم سألته وقد غاب صوتها من خيبة الأمل:

«هل هناك شيء آخر تقوله لي؟»

«أعتقد أن هذه ليست الحقيقة».

«لماذا تعتقد هذا وما هي الحقيقة؟»

«ان الكلام لايدل احياناً على ما في القلب من مشاعر».

وارتجفت شفتاها متسائلة:

«ماذا تعني؟»

«أحياناً يقول الانسان كلاماً ولايعنيه. فمنظره لايدل على ما صرّح به. فقد ظهر لي أنه حزين كئيب وآثار التعب بادية حول عينيه من كثرة السهر. وقد شحب لونه لقلة الطعام. يبدو لي أنه يحبك فعلاً».

«يا الهي!»

تابع والدها حديثه:

«هذا رأيي فقط. عندما تحدثت اليه كان منصتاً اليّ بشغف وعندما عرضت عليه المشروع رفضه بشدة بدون تفكير في النتائج. مما يبرهن لي أنه مهتم بك كثيراً. فلو لم يهتم فلماذا يضيع مثل هذه الفرصة التي ربما لن تتاح له مرة اخرى؟»

«قلت لك ياوالدي ان باتريك رجل شريف».

«أعتقد أن هذا صحيح».

«وما العمل الآن؟ هل أخبرته أنني لم أنم معه؟»

«لا، لم أخبره. لماذا تريدينني ان أخبره؟»
«هل قلت أنه يبدو وكأنه لاينام الليل؟»
«انه حيّ يرزق اذا كان هذا يهمك. ولن يموت حباً بالرغم من آلام الفراق والبعاد. يابنيتي العزيزة، لماذا لم تختاري واحداً من عشرات الرجال الذين يتمنون أن تتاح لهم فرصة مصاهرتنا. لماذا لم تختاري سوى هذا الانسان الذي يرفض الزواج منك؟»
«صدقني ياوالدي أنني سألت نفسي هذا السؤال مئات المرات، حتى تمنيت لو لم أذهب الى ويلتشاير ذاك الاسبوع عندما قابلته».
ولكن الشوق الذي ظهر في عينيها يروي قصة اخرى.
انهمك والد روث ببعض الاعمال والمقابلات التي تراكمت اثناء مدة سفره الى لندن وفي المساء وبعد ان تناولا العشاء سوية قالت له روث:
«افكر بالعودة الى لندن غداً».
«لماذا؟»
«بالطبع لرؤية باتريك».
«توقعت هذا. ولكن ماذا لو رفض ان يراك؟»
«هل تعتقد انه يرفض؟»
«لا، لا أعتقد هذا، ولكنني أفكر لماذا لاتحاولين نسيانه، فهو جاد في اعتقاده بأنه من الجنون ان يأخذ زوجته الى فنزويلا وأنا أميل الى موافقته على ذلك»
«اذا استطعت أن أقنعه بالزواج، لن تقف في طريقي أليس كذلك؟»
«لا يمكن أن أفعل هذا، ومع ذلك لا أكاد أرى أي أمل في اقناعه».
نهضت روث ومشت نحو النافذة محاولة اخفاء ما اعتراها من مشاعر:
«لا أدري، لابد أن هناك طريقة وسأجدها»
نفض والدها غليونه وقال:
«حسنا، مهما كانت النتيجة، يجب ان تخبريني ماذا يحصل، فأنا أصر على حضور عرس ابنتي الوحيدة».

«حسناً، والآن هل لديك مانع اذا اتصلت بالمطار لأسألهم اذا كان هناك مقعد على الطائرة المسافرة الى لندن؟»

هبطت الطائرة قبيل المساء في مطار هيثرو في لندن. فاستقلت روث سيارة تاكسي الى البيت حيث استقبلتها السيدة لوسون وكانت سعيدة جداً لعودتها حتى انها أصرت على روث لتعد لها وجبة العشاء ولم تقتنع عندما اخبرتها روث بأنها تناولت بعض الطعام في الطائرة.

وفي المساء اتصلت بشقة باتريك. اقتنعت بفكرة الامس حتى ملأت رأسها وحواسها ولم تفكر روث بكيفية تنفيذها بل كان كل همّها تنفيذها بأقصى سرعة قبل ان تغيرّ رأيها. أجاب باتريك على الهاتف وعندما سمعت صوته، غاب صوتها ولم تجد الكلمات التي ستقولها له فحيته:

«هـ .. هالو. كيف حالك؟»

«روث؟ هل أنت روث؟»

«نعم، هذه أنا، هل سرك سماع صوتي؟»

«اعتقدت انك في اميركا. لأن والدك...»

«بالفعل كنت في امريكا. لقد عدت لتوي من هناك».

«هل هذا صحيح؟»

«هل أنت مشغول؟»

«مشغول؟ لا أعتقد ذلك ولكنني كنت على وشك أن اعد بعض العجة».

«هل ستدعوني للعشاء اذن؟»

صمت قليلا ثم سألها:

«لماذا اتصلت بي ياروث؟ فكرت بعد أن تحدثت مع والدك...»

«مضت ثلاثة أسابيع منذ أن رأيتك اخر مرة».

«أعرف ذلك. فلم يبق لدي سوى اسبوعين وأسافر».

«أعتقد أن وقتك محدود. لذلك أرغب في رؤيتك».

كانت روث عازمة بشدة على مانوته.

«هل هناك فائدة من هذا اللقاء، اذ أننا في كل لقاء نسيء لبعضنا؟»
أجابت روث بعزم وتصميم:
«يجب أن أراك يا باتريك».
«لماذا؟»
«لا أستطيع ان أقول لك على الهاتف».
صمت مرة اخرى حتى ان روث فكّرت انه أعاد السماعة مكانها. ولكنه نطق أخيراً:
«حسناً سآتي اليك».
«أفضل أن آتي أنا اليك».
«لا».
تملكت روث الغيرة، واخذت تجرحها كالسكين فقالت له:
«هل هناك أحد معك؟»
«بالطبع لا يوجد أحد».
«حسناً، فأنا بانتظارك اذن. اترك الغجة التي عملتها وسأطلب من السيدة لوسون ان تحضر لنا بعض الشطائر».
«شكراً لا أريد أن آكل».
سمعت روث صوت السماعة تعاد الى مكانها بسرعة، فوضعت سماعة الهاتف أيضا ثم نهضت ونظرت الى نفسها. لازالت ترتدي طقم الجلد البيج الذي كانت ترتديه في السفر. صعدت الدرج لتخلع السترة وترتدي كنزة من الصوف ثم تمشط شعرها وتصلح هندامها وماكياجها.
عندما وصل باتريك أدخلته وأعلمت السيدة لوسون بوجوده. ثم بدأت تستشف من نظراته لترى اذا كان سعيداً بلقائها.
كان والدها على حق عندما وصفه بالقلق عديم النوم والهدوء. ولكن هذا لم يقلل من وسامته وجاذبيته، كان شعره مصففاً بترتيب، أما لونه فقد شحب قليلا من برودة طقس هذا البلد. جلسا في الصالة الصغيرة بصمت يواجه أحدهما الآخر.

لم تستطع روث أن تقرأ ماتخبئه العينان الرماديتان العميقتان. وبحركة تنم عن عصبية وقلق أومأت اليه بأن يلحقها الى الصالة العليا، كما أحست انها تقاوم لتستجمع شجاعتها.

في الصالة سألته روث:

«هل ترغب في خلع معطفك؟»

«هل سيطول بقائي؟ هل هناك ضرورة لذلك؟ لماذا طلبت حضوري؟ عندما أعلمني والدك بأنك سافرت أكدت لنفسي أنني لن أراك ثانية قبل سفري من انكلترا، وقد هيأت نفسي لهذا. لماذا أردت رؤيتي؟»

«أجلس أولا وبعد أن تتناول شيئاً سأخبرك، ماذا تريد أن تشرب؟»

تعجبت روث كيف أنها كانت تتكلم بكل هدوء، ثم سمعته يقول:

«لا أرغب في شرب أي شيء. وأرجوك ياروث أن تخبريني لماذا طلبت مني المجيء الى هنا. فأنني غير مستعد للجلوس لتبادل أحاديث المجاملة، فلا طاقة لي عليها. أرجو أن تعجلي بما ستقولينه لي ودعيني أذهب. ولكنني أحذرك اذا كان الموضوع يتعلق بما قاله لي والدك...»

«والدي لايعلم بما سأقوله لك».

«لايعلم عن ماذا. قولي؟»

بللت روث شفتيها ثم قالت بتردد:

«أنا... أنا حامل؟»

ومضت دقيقة من الصمت الرهيب لم ينبس احدهما بعدها ببنت شفة.

ذهل باتريك للخبر وكأنه لم يصدق ماتسمع اذناه. ثم أخذ يتأملها وكأنه يبحث على علامة تدل على ماقالت فسألها:

«هل أنت متأكدة من ذلك؟»

«بالطبع، انني متأكدة ولو أنني غير متأكدة لما أعلمتك بذلك»

«ولكن، هكذا بسرعة».

«لقد عملت الفحوصات اللازمة وكانت النتيجة أنني حامل. هل ترغب في رؤية اوراق الفحص».

غامرت روث في سؤالها هذا حتى أنها أحست بقلبها يخفق من شدة الخوف. ماذا لو أجاب بلايجاب، ولكن باتريك قال:

«يا الهي، ما هذا الخبر، لا، لا اريد ان أرى الاوراق!»

سألته روث:

«هل أنت غاضب؟»

«غاضب؟ كيف لي أن أكون غاضباً. ولكن لا أدري معنى مشاعري الآن. يا الهي اليك ألتجىء!»

«هل احضر لك شيئا تشربه؟»

«نعم، اريد شيئا بارداً يرطب جوفي».

تهالك جالساً على اقرب كرسي. وكان الكرسي من النوع الهزاز فأخذ يهزه الى الامام تارة ثم الى الخلف وهو لايزال مذهولا من هول المفاجأة ويصيح:

«يا الهي، ما هذه المصيبة؟»

أحضرت له روث كأساً من عصير العنب المثلج وناولته اياها، فأمسك بيدها يعتصرها وسألها:

«هل أنت متأكدة أنني والد ذلك الطفل؟»

سحبت روث يدها من قبضته وأجابته بغضب:

«ياله من سؤال قذر!»

«لماذا غضبت؟ أليس هذا ما يحدث في لندن؟»

«ربما هذا صحيح، ولكن لايحصل معي فأنا لاامزح مع أحد!»

راق له جوابها. وأخذ ينظر اليها متفحصاً وجهها ثم قال بخبث:

«حسناً، أنا أعتذر لسؤالي!»

جلست روث مسندة ظهرها، وقد شعرت بالاستياء من سؤاله، وفكرت لو أنها كانت في الحقيقة حامل وكان هذا رد فعله نحوها فماذا كانت تفعل عندئذ؟ ثم

أدارت وجهها له وقالت:
«هل عرفت الآن لماذا سألتك المجيء الى هنا؟»
أكمل باتريك كأس العصير ووضعه على الطاولة جانباً ثم قال:
«أعتقد أنك قلت بأن والدك لايعلم بهذا الموضوع؟»
«بالتأكيد. انه لايعلم».
«اذن لماذا حضر هنا يعرض علي صفقة سخيفة لأتركك وشأنك.»
«لأنني أخبرته بأنني أرغب في الزواج منك».
صاح باتريك مستفسراً:
«ماذا قلت له؟ ولماذا؟»
«أخبرته بأنني أحبك».
حاول باتريك أن يستوعب ما قالته روث بهدوء ثم سألها:
«وماذا سيفعل لو علم أنك حامل؟»
«لا أنوي اعلامه بهذا».
«لا، لا يمكنك اخفاء الامر عنه.»
«لن أخبره الا اذا كنت مستعداً أن...أن...»
«أن اصلح غلطتي، هل هذا ما تقصدين؟ بالطبع هذا ابتزاز بطريقة لطيفة».
استشاطت روث غضباً وقالت له بأعلى صوتها:
«لا، أنا لا أبتزك. كيف تكلمني بهذا البرود؟»
وفجأة أحس باتريك كم كان قاسياً. وشعر بالذنب لمعاملته لها. فوقف واتجه نحوها وأخذ يعتذر:
«أرجو ألا تظني بي سوءاً. هدئي من روعك، لم أقصد اغضابك. الخبر المفاجيء الرهيب أفقدني صوابي. ولم أعرف ماذا اقول. أرجو أن تمنحيني الفرصة لأعتاد على هذه المفاجأة. يا الهي انك تحملين طفلي. أرجو المعذرة مرة اخرى لزجك في هذا الموقف الصعب ومن الأفضل أن تخبري والدك».
«لا، لا أستطيع أن أخبره».

فأجابها باتريك بحزم:

«أنا أريدك ان تخبريه. فستكونين وحدك هنا عندما يولد الطفل. وأود منك أن تخبري والدك ليكون بجانبك ريثما أعود...»

«ماذا تعني؟»

«روث، أرجو أن تصغي اليّ. مهما كانت علاقتنا التي لم نحددها بعد. لا أستطيع ان أعيش عالة على والدك...»

«لا أحد يطلب منك...»

«أرجوك أن تفهميني. العرض الذي قدمه لي والدك لايهمني. وهذا الموقف لن يغيرّ رأيي لأعود وأعمل في انكلترا. عملي في فنزويللا وأنا أنوي العودة الى عملي هناك».

«اني أعلم هذا و...»

«أرجوك أن تسمعيني، أعلم أنك حامل. وأنا مستعد أن أتحمل كل المسؤولية حيالك. وسوف أرتب كل الترتيبات اللازمة لزواجنا، اذا كان هذا ما تريدين. ولكنني سأعود وحدي الى فنزويللا. هل هذا مفهوم؟»

«لا، اذا تزوجتك فسأعيش حيثما تعيش أنت».

«في فنزويللا؟ أرجو ان تفهمي شيئاً آخر. كونك زوجتي يختلف تماماً عن كونك ابنة السيد جوزيف فاريل المدللة. وأن تكوني زوجتي في برتوريكو... في الحقيقة شيء غير ممكن. أما وأن تلدي هناك فالمصيبة أعظم. أرجوك يا روث حاولي أن تفهمي».

«وماذا عليّ أن أفعل؟ أن أتزوجك وأبقى في انكلترا؟»

«نعم»

«وأن اراك مرة كل خمس سنوات؟»

«بالطبع لا، سأراك كل ستة أشهر. اعتدت على أخذ اجازة كل ستة أشهر أقضيها بالتجول في انحاء امريكا الجنوبية. أما في هذه الظروف فسأعود الى هنا».

شعرت روث بخيبة الامل وكأن سهما أصابها فقالت:

«شيء جميل، لا أقبل هذه الطريقة، لن تستطيع اجباري على البقاء هنا».

نفد صبر باتريك وهو يحاول اقناعها بوجهة نظره:

«روث، أرجو أن تكوني عاقلة؟ انك امرأة لم تعتادي العمل في حياتك. والحياة في امريكا الجنوبية صعبة وقاسية لأية امرأة، فما بالك بفتاة مثلك ستكون بالنسبة اليك الجحيم بعينه».

يبدو أنه من الصعب أن تربح مع باتريك الا اذا...

«اذا لم تأخذني معك الى فنزويللا فلن أتزوجك».

«لست جادة. أليس كذلك؟»

«بل جادة كل الجد».

وأحست بأنها تملك أوراقاً رابحة اذ ما من رجل شهم يرضى ان يولد له ابن غير شرعي. وأحست بأن باتريك كان قلقاً:

«هل تعتقدين أن والدك سيوافقك على ذلك؟»

«والدي سيساندني».

وتمنت روث ألا يعلم والدها بالامر حالياً، لأنه لايوافق على سفرها الى فنزويللا. ولكن باتريك لايعلم بهذا ولذلك عندما أصرّت روث على رأيها شعر بالضيق وقال لها غاضباً:

«تعودت أن تحصلي على كل ماتريدين».

«ليست هذه الحالة بالضرورة».

«هل تعتقدين أن والدك يوافق على سفرك الى فنزويللا اذا عرف بأنك حامل؟»

«لا، ولهذا لا أود أن أعلمه عن الحمل».

«سأعلمه أنا!»

«اذا أخبرته فلن أتزوجك».

شعر باتريك بالعجز أمام تصميم روث فقال باستسلام:

«حسناً، لن أحاول اقناعك بالبقاء في لندن ولكنني لست ملوماً على ما ستلاقينه هناك من العذاب الا ما يمليه عليّ ضميري».

صاحت روث بفرح:
«هل تعني ان باستطاعتي السفر معك الى فنزويللا؟»
أحنى باتريك رأسه مفكراً للحظة ثم قال:
«ربما ليس معي بالضبط فهناك ترتيبات يجب علي أن أنهيها قبل سفرك. كالتلقيح ضد الامراض وغيرها، وربما هذه الاجراءات تستغرق اسبوعين على الاقل.
وبالطبع سوف تكون مراسيم العرس هي محط اهتمامنا الأول»:
«بالطبع انني أود ان يتم الزواج في الكنيسة».
«ولكن الزواج في الكنيسة يحتاج الى وقت أكثر لاتمام الترتيبات اللازمة».
«مهما كلفنا الامر يجب ان يتم الزواج في الكنيسة. فأنا لا أقتنع بمراسم الزواج المدني وربما والدي يشك في الامر اذا كان زواجنا مدنياً».
«سيعرف والدك بالامر عاجلا أم آجلا».
«ولكن هناك الكثير من الناس ينجبون حالا بعد الزواج».
واحمرّ وجه روث خجلا لذلك ولكن باتريك علق قائلا:
«في فنزويللا؟ سيظنون أننا مجانين».
«أرجوك، لاتعد القصة من البداية».
وقف باتريك وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ثم أجابها:
«حسناً، ولكنني أعجب كيف يستطيع الناس أن يحيوا حياة طبيعية تحت هذه الظروف؟»
«الناس مهيأون لقبول التطور الطبيعي للعلاقة بين انسانين من عاشقين الى والدين».
«وهل أفهم منك أنك ترحبين بهذا الموقف؟»
شعرت روث بتجّمد أعضائها ثم أجابته:
«ماذا تعني ياباتريك. هل تعني أنك لم ترغب في الزواج مني تحت أي ظرف لو ما حصل...»
فزع باتريك من لهجة اليأس في حديث روث وقال لها برقة:

«لماذا لاتفهمين قصدي بعد ياروث، لم أقل هذا الا لصالحك. فأنا أشعر بأن مجيئك الى فنزويللا هو أنانية مني».

أصيبت روث بالعجز أمام لهجة باتريك وقد عبّر عنها بكل صدق وحرارة:

«لقد عجزت عن مقاومة مشاعري نحوك منذ أن رأيتك في بيت جيمس».

«ولكنك كنت قاسياً جدا في معاملتك لي حتى في ذاك اليوم».

«أعرف ذلك. قررت أن أقاوم خطط ماريون لتزويجي. وعندما عرفت من تكونين فكرت يومها أنه مهما كان مدى اعجابك بي فلن يتعدى الاعجاب...»

«لماذا؟»

«لا تسأليني لماذا. فأنت أدرى بالجواب. لم أحلم في حياتي بأن والدك ممكن أن يقبل بي زوجاً لابنته، عدا أن مركز عملي في أحد بلاد العالم غير المتطور، حيث اعتقدت انني لايمكن أن أجد فتاة تقبل الزواج بي وتعيش معي هناك. وبالتأكيد لم أحلم بان ابنة فاريل تقبل هذا الوضع. ولذلك قررت أن أبتعد عن طريقك ولكنني فشلت».

«فكرت أنك تكرهني».

«ليتني أستطيع ذلك».

«هل تحبني حقاً؟»

«روث، يجب أن احذرك. اذا قبلت الزواج بي فتأكدي بأنه ليس هناك رجعة، حتى لو أنك لم تحتملي الحياة في فنزويللا، فلست متأكداً بأنني سأتركك تذهبين. ولا أشعر بأنني سأتركك حتى منذ اليوم».

ونظر باتريك الى بطنها بحنان، وقد سرت موجة من المشاعر في كيان روث واحمّرت وجنتاها ثم قالت:

«لا تتكلم هكذا!»

«ولكن يجب علينا التفاهم على هذه الامور منذ الآن. فأنت تحملين طفلي: وعلى وشك ان تصبحي زوجتي. وأرغب أن ابين وجهة نظري بأنني لا أجد الطلاق

حلاً للعلاقات غير المتكافئة».
«لماذا تناقشني بهذه الاشياء؟»
«لأنني خائف ان تعتقدي بأن هذا الزواج مغامرة تحمست لها لأنك تحملين ابني. عشت ورأيت أن من يرتبط بسهولة من الممكن أن ينفك بسهولة. ولكن هذا لاينطبق على علاقتنا. وليكن في علمك بأن زواجنا معاهدة مدتها العمر كله».

أصيبت روث بتجمد وهي تستمع اليه. لقد هوّل الأمر وجعله يظهر وكأنه عقد عمل بلا عواطف. أين عواطفه؟ وماذا يشعر حيالها؟ بلعت ريقها وقالت:
«وماذا عنك بماذا تشعر؟»
«ببساطة. انك ستصبحين زوجتي، وأم ابني، وأعدك بأن أفعل كل مايوسعي لاسعادك.»

ودت روث لو صرخت لتسأل باتريك هل تحبني. اذا كانت هذه مشاعرك وتصرفاتك وأنت تعرف أنني سأصبح زوجتك وأحمل طفلك. ماذا لو يكتشف الحقيقة بأنني غير حامل. هل سيصدق بأنني أخطأت الحساب؟ أو أنه سغفر لي ما فعلت من أجله؟

أو أنه سيظن أنها مؤامرة لأجبره على الزواج؟ أخذت روث ترتجف. لم تفكر بأن في استطاعتها أن تفعل هذا. ومن أعماقها شعرت بأنه أحبها. كل تصرفاته تشير الى حبه لها. لو أن الامور سارت كما يرام وعاشا بسلام ومحبة فلن تخيب ظنه فيها ابدا....

٧ ـ اللحظات الفاصلة

كان مطار ماكيتي عبارة عن شريط من الارض اليابسة المحاطة بمياه البحر الكاريبي الازرق. وخلفه الجبال الوردية اللون على طول الشاطىء. وعندما هبطت الطائرة على أرض المطار جمعت روث اغراضها بعصبية ويدين مرتجفتين استعداداً للنزول. ها قد وصلت فنزويللا. ولكنها أحست بغرابة لفكرة لقاء زوجها بعد دقائق. فلم تشعر أنها متزوجة بعد، ولم يختلف شعورها عما كان عليه يوم تقدم باتريك لطلب يدها. لم تصدق أنه مضى أربعة أسابيع على زواجها. بل أدركت الآن أن باتريك اذا عزم على عمل ما، لا بدّ أن ينفذه. فبينما كانت روث مشغولة بالاتصال بوالدها لتعلمه انهما يريدان الزواج كان باتريك يقوم بكل الترتيبات لمواسيم الزواج والحصول على اجازة، وساعدها على استخراج أوراق التلقيح والفحوصات الطبية وصور الاشعة اللازمة. ومن حظها أنه لم يكن حاضراً أثناء أي من الفحوصات ولذلك لم يكن هناك خطر من معرفة الحقيقة. ولم تره روث كثيراً في الاسبوعين الاخيرين اللذين تبقيا له في انكلترا، اذ كانت مشغولة بتحضير نفسها للسفر. وكان مشغولا بانهاء بعض الاعمال قبل سفره. ولم تتح الفرصة لروث كي تحدثه بصراحة أو لتطلب منه الصفح. وكانت روث تنتظر قدوم والدها لحضور حفلة الزواج بفارغ الصبر لتشرح له الامر ولكنه عندما قدم فعلا وجدت نفسها عاجزة عن اخباره. وازداد لديها شعورها بالذنب وأحست بأنها خدعت الجميع ولكنها كانت تمني نفسها بأن الامور ستتحسن عندما يتزوجان.

كانت جوليا وحدها التي ادركت بأن هناك سراً يقلق روث ولم تستطع أن تبوح به. وجاءت جوليا الى لندن لتقضي معها بضعة أيام قبل الزواج، وحاولت جاهدة أن تعرف منها السرّ. ولكن روث لم تفسح لها فرصة للمناقشة.

وكما توقع باتريك فلم تستطع روث مرافقته الى فنزويللا لأن معاملات التلقيح والفحوصات الطبية لم تنته خلال الوقت المحدد. ومرّت الايام الاخيرة ببطء وصعوبة لخوفها من أن يكتشف باتريك أنها غير حامل. وبالرغم من خوفها وقلقها كانت أحياناً تقنع نفسها بأن باتريك يريد الزواج بها لنفسها لامن أجل الطفل الذي تحمله. ومن ثم تعود الى مخاوفها وما قد يخبئه لها الواقع والايام.

حددا يوم الزواج ليكون قبل يومين من سفر باتريك حيث يقضيان ليلة الزواج والليلة التي تليها في منزل والد روث. لم يكن هناك مجال لشهر عسل في ظل هذه الظروف، وقرر والدها البقاء في النادي حتى عودته الى الولايات المتحدة، حتى تتاح لهما فرصة البقاء بمفردهما. ولكن الظروف لم تكن مؤاتية فقبل العرس بيوم واحد عرف باتريك أن شركات الطيران سوف تضرب في اليوم الذي حدده للسفر ومن الممكن أن يدوم الاضراب طويلا. ونصحه بعضهم أن يسافر في اليوم التالي، أي حالاً بعد الزواج. وبما أنه لم يستطع أن يغامر في التأخر عن عمله فقد قرر السفر بعد ساعات من حفلة الزواج. ولم تدر روث ما اذا كان هذا نعمة أم نقمة. فمن ناحية ارتاحت روث لسفر باتريك قبل أن يكتشف أنها غير حامل، ومن ناحية أخرى كانت تتوق للسفر مع باتريك. فلم تدر كم ستطول الايام قبل الالتحاق به، وماذا عن مشاعرها طيلة هذه المدة؟ وماذا لو حصل شيء منعها من السفر للالتحاق به في فنزويللا؟ وماذا ستفعل لو لم تحمل مباشرة بعد سفرها؟ كانت كل هذه الاسئلة والاستفهامات تقلقها وترهق أعصابها، وخاصة أنها لم تكن قادرة على البوح لاي انسان بمشاعرها وعلى العكس كان عليها أن تتظاهر بأن كل شيء على مايرام.

وفي الليلة الاخيرة قبل حفل الزواج أتيحت لها الفرصة للبقاء بمفردها فترة قصيرة مع باتريك الذي عبّر لها عن خيبة أمله وقال:

«آسف جداً لعدم تمكنك من مرافقتي في هذه الرحلة، حتى أتمكن من الاعتناء بك والسهر على راحتك وراحة الطفل».

احمرت وجنتا روث وأجابته:

«أنا آسفة أيضا لزجك في هذه الظروف وكن على يقين أني أقاسمك مشاعر الخيبة، وهذه الظروف تقلقني الى حدّ كبير وأرجو من الله أن تؤاتينا الظروف لنبدأ من جديد وكأن شيئا لم يكن».

«اذا كنت تقصدين ان نتظاهر بأن ليلتنا الاولى هي بالفعل أول ليلة نقضيها سوياً كامرأة ورجل؟ فأنا أوافقك».

أفاقت روث من تأملاتها على صوت مضيفة الطائرة تعلن انتهاء الرحلة، وشعرت بالضعف... ماذا ستكون ردة فعل باتريك عندما يعلم أن هذه البداية ستكون حقيقية؟

انفتح باب الطائرة ووقفت روث بالباب استعداداً للنزول ولفحت وجهها موجة من الحر اللاهب. عندما غادرت لندن كانت تلبس بدلة من الجورسيه ومعطفاً من الصوف ولكنها الآن شعرت بالحر لمجرد حمله على يدها، فقد كان الحرّ قاتلا والرطوبة مرتفعة جداً.

كان المطار في الداخل مكيّفاً ومع ذلك أحست روث بشدة الحرّ الخانق، وما ان وصلت الى قاعة الاستقبال في المطار حتى بدأت تبحث عن وجه باتريك الداكن الجذاب وأحست بخيبة كبيرة لانها لم تجده بين المستقبلين. لكنها لن تستطيع مغادرة القاعة قبل مجيء باتريك، فالى أين تذهب؟ ولذا رفضت الخروج من المطار ولم تقبل مساعدة أي ممن عرضوا عليها المساعدة وبدأت تتساءل عما جرى له... لماذا لم يأت وهو يعلم بأنها حامل وأنها بحاجة له عند وصولها وخاصة في هذا الحر القاتل. هو الذي أصرّ على ملاقاتها في كاراكاس في حين أنها أظهرت استعدادها لأن تلقاه في مراكيبو. وهو الذي اقترح عليها النزول في المطار القريب من كاراكاس للعودة في السيارة ليريها الطريق وليتمتعا معا بالمناظر الجميلة الممتدة على جانبي الطريق. وهو الذي أخبرها أن الطريق سهلة ومعبدة وليس هناك من خطر عليها أو على الطفل. ووافقت هي على ذلك لانها

اعتبرتها فرصة جيدة لتخبره بالحقيقة.لم يأت، وبدأت تراودها الشكوك، ماذا لو غيّر رأيه؟ ماذا لو حصل له حادث؟ ومن سيخبرها بذلك؟ نظرت روث حولها لتجد نفسها وحيدة في القاعة لأن جميع المسافرين غادروا، وأخذت تحاول ايجاد مكان ترتاح فيه بعيدا عن العيون ريثما يأتي باتريك. وفجأة سمعت أحدهم يكلمها بلهجة اميركية:

«أعتقد أنك السيدة هاردي. كيف حالك؟ اسمي جون هيوارد. باتريك لم يتمكن من الحضور لاستقبالك وأرسلني بدلا عنه.»

وكان لكلمة السيدة هاردي على سماعها وقع غريب.

كان جون طويل القامة وله عينان بنيتان وشعره بني اللون، كان وسيماً جذاباً حتى أنها شعرت بالفخر لنظرات الاعجاب في عينيه. ومع ذلك احست بخيبة أمل لانها لم تجد باتريك بانتظارها، حتى أنها أجبرت نفسها رغماً عنها لتبتسم محيية الرجل الذي جاء لاستقبالها قائلة:

«نعم، أنا روث هاردي، كيف حالكِ؟»

«أهلا وسهلا بك في فنزويللا يا سيدة هاردي، آسف لتأخري».

«هل تعلم أين زوجي يا سيد هيوارد؟»

«أرجو أن تناديني بجون ياسيدتي. عاد باتريك الى المختبر بناء على دعوة من رئيسه لاجتماع طارىء بعد الظهر ألزمه البقاء. وهو يأسف لعدم حضوره لاستقبالك اذ لم يتوقع انعقاد هذا الاجتماع الطارىء».

«حسناً، وماذا علينا أن نعمل الآن؟»

«سنذهب الى كاراكاس، لقد حجزت لك جناحاً في الفندق».

«جناح في الفندق؟»

«نعم ياسيدتي. فكّر باتريك أن السفر متعب لك في اليوم نفسه الى بورتوريكو ولذلك حجز لك في الفندق لترتاحي الليلة هنا ثم نسافر غداً الى بورتوريكو».

فهمت روث الوضع ووافقت على مرافقة جون الى الفندق وسارا باتجاه مخرج المطار.

لم تكن روث راضية عن الوضع ولكن ليس باليد حيلة، خاصة أن كلّ الظروف جاءت معاكسة لما خططاه، وعليها أن تذعن بصمت، متمنية أن يأتي الغد بظروف أفضل من هذه.

كانت سيارة جون هيوارد واحدة من تلك السيارات الاميركية الكبيرة، وضع جون حقائب السيدة هاردي في المقعد الخلفي ثم قاد السيارة باتجاه الطريق الجبلي. كانت الحرارة مرتفعة جداً بالاضافة الى رطوبة عالية في الجو لم يسبق لروث أن عرفتها من قبل، وما كان عليها الا أن تؤمل نفسها بالاعتياد على هذا الجو. فتحت روث نافذة السيارة واذا بنسمة حارة تلفح وجهها فأخذت تستعمل يدها كمروحة. شعر جون بالاشفاق عليها وقال لها مؤاسيا:

«اصبري قليلا فسنصل الى منطقة الجبال قريباً حيث الجو أبرد. فالجو جميل في كاراكاس في معظم الايام بينما الساحل هو المنطقة التي ترتفع فيها درجة الحرارة غالباً مع نسبة الرطوبة العالية».

«وكيف الطقس في بورتوريكو؟»

«انه حار جداً في بورتوريكو ولكن ستعتادين عليه بسرعة».

«آمل أن أعتاد عليه».

ورأت أمامها بوابة كبيرة فسألته:

«وما هذه البوابة التي أمامنا؟»

«هذا مدخل الطريق الى كاراكاس لربما سمعت به؟»

«لا، لم أسمع به من قبل».

«انه فخر الهندسة المعمارية الفنزويلية. سترين ذلك بنفسك حيث كان الطريق القديم يستغرق من المسافر حوال ساعتين، هذه الطريق التي شقت اخيراً اختصرت الوقت الى عشرين دقيقة».

كانت الطريق عريضة تتسع لستة سيارات مرتفعة في الجبال. كانا يمران أحياناً بمنحدر سحيق وأحياناً أخرى في الجبال ولكنهما لم يشاهدا أي اخضرار. السيارة تعبر انفاقاً عبر الجبل مما جعل الهواء فيها بارداً. وبالفعل وبوقت قصير وصلا الى أعلى الجبل الذي ارتفع حوال ثلاثة آلاف قدم عن سطح البحر.

أعجبتهـا مدينـة كاراكاس بمنظرهـا الجميل وناطحـات السحـاب والميادين الخضراء والمباني التجارية في قلب المدينة في حين أنها امتلأت بالمباني السكنية في أطرافها على سفوح الجبال مما أعطاها طابعا خاصا.

دخلا المدينة من المنطقة الصناعية الكبيرة المكتظة بالمارة والسيارات. كان معظم الناس يستعملون القبعات على رؤوسهم اتقاء للحر، حتى أن روث فكرت بشراء قبعة لنفسها، ولفت نظرها تفاوت ألوان البشر فهنـاك الابيض والاسود والبني وكذلك تفاوت الازياء والثياب. حتى أنها رأت أيضاً النسـاء الهنديات اللواتي يلبسن الزي الوطني وقد حملن أطفالهن على ظهورهن. ورأت طالبات المدارس الاسبانيات يرتدين الملابس الاوروبية وهن يسرن مرحـات فرحات. ومن ثم تجاوز جون وسط المدينة متجها الى أحد الفنـادق، وحـالما ترجلت روث من السيارة أحست بالحرارة تلفح وجهها فاتقت باحدى الشجيرات في ساحة الفندق. وتقدم منهما أحد العاملين ليأخذ حقائب روث.

والتفت جون الى روث قائلا:

«أرجو أن تصعدي الآن الى جناحك لتأخذي دوشاً وترتاحي قليلا».

ترددت روث قليلا قبل أن تصعد الى جناحها في الفندق فقد أحست بالرهبة لاحتمال فقدان جون وهو صلتها الوحيدة بباتريك في هذا البلد الغريب. ولم تود أن تراه ذاهباً فسألته:

«الى أين أنت ذاهب؟»

«لدى بعض الاعمال سأنهيها ثم أعود لتناول طعام العشاء معك اذا شئت».

«ألن تنزل في هذا الفندق أيضا؟»

«لا، يا الهي لا!»

ونظر حوله لغرابة افتراضها أنه سينزل في هذا الفندق الفخم.

فقالت روث:

«اذن سأنزل معك في فندقك».

«ولكن لدي تعليمات من باتريك أن تنزلي في هذا الفندق بالذات، وكما قلت لك فسأعود اليك حال انتهائي من العمل».

ولم تجبه روث وانما حملت حقائبها الى السيارة بعدما رمقت عامل الفندق بنظرة اعتذار. فوجيء جون من سرعتها في التصرف وهرع اليها صائحاً:

«يجب ألا تفعلي هذا وخاصة وأنت في حالتك هذه».

«حالتي؟»

غضبت روث عند ما أدركت أن جون يعرف أنها حامل، لانها ظنت أن باتريك هو الوحيد الذي يعرف ولن يعلم أحداً . ولكنهـا أذعنـت مستسلمة وأعطته الحقائب ليحملها عنها قائلة:

«كن على علم بأني لن أبقى في هذا الفندق».

أشفقت روث على جون ولكنها عزمت على ما قالته. وبلا شك فكّر جون بأنها لا بدّ أن تكون حمقاء لرفضها البقاء في هذا الفندق الفاخر. أما وجهة نظرها فكانت، أن عليها التكيف مع الحياة المختلفة في فنزويللا ولن تتوقع أن تدوم هذه الفخامة.

لم يفلح جون في تغيير رأيها وأصرّت روث على مرافقته الى فندقه. فحمل الحقائب وأعادها الى السيارة محتاراً بأمره ونظر اليها قائلا:

«هذا لن يعجب باتريك على الاطلاق».

«آسفة على ذلك، سأشرح له الموضوع لئلا يلومك».

«لا أقصد هذا أبداً، ولكن كان يجب أن أصرّ على بقائك هنا».

«لماذا تصرّ على بقائي هنا، هل عرقلت عليك أعمالك؟»

«لا أبداً، هل تودين الذهاب الى الفندق نفسه حيث سأقيم؟»

«نعم، اذا لم يكن لديك مانع».

«بكل سرور».

كان الفندق حيث سينزلان في المدينة القديمة قرب بعض المباني الاسبـانية القديمة التي لم تهدمها الزلازل في القرنين الثامن والتاسع عشر. كان الشارع منحدراً نحو ميدان الشاطيء الذي لايزال محتفظاً بسماته القديمة الجميلة. كانت غرفتها جميلة تبرد الجو فيها مروحة كهربائية. وأطلت روث من نافذة غرفتها لترى حديقة الفندق الخلفية المليئة بالاعشاب والنباتات الصغيرة المنسقة بشكل

رائع. حاولت روث التعرف على بعض الازهار المزروعة في الحديقة، وميزت منها أزهار الياسمين والباغونيا الممتدة كالشجيرة التي تدلت منها عناقيد الازهار الصفراء. بينما العصافير ملأت السماء بزقزقتها الحلوة.

عاد جون الى الفندق بعد أن أنهى عمله ليصطحب روث الى العشاء.

ارتدت روث فستاناً من القطن المطبوع باللون الاخضر.

وبينما كانا جالسين حول المائدة سألته عن بورتوريكو فأجابها:

«ماذا تودين أن تعرفي؟ لاشك أن باتريك أخبرك عن كل شيء فيها».

«لم يخبرني كل شيء بالتفصيل. وفي أية حال، أود معرفة انطباعاتك عنها».

«لاتتوقعي شيئاً غير عادي فهي عبارة عن مجموعة من المساكن وناد اجتماعي. على فكرة فأنا أسكن في النادي».

فكرت روث ما عساه أن يقول لو عرف أن باتريك لم يخبرها بشيء عن سكنه أو محيطه، وتابع جون قائلاً:

«وهناك بركة للسباحة أيضاً مع أنني لا أتوقع أن هذا يهمك الآن».

«لم لا؟»

«حسناً، هل تسبحين؟»

«آه، فهمت، تعني هل أسبح وأنا في حالتي هذه».

«بالضبط هذا ما عنيت».

«لايزال الوقت مبكراً حتى أتوقف عن نشاطاتي، وماذا هناك أيضا؟»

«في المعسكر بقّال يبيع تقريباً كل شيء وايضاً كنيسة ومستشفى. هذا كل ما هنالك ولكنها ستعجبك».

«وأين تقع بورتوريكو بالضبط؟ ذكر لي باتريك مراكيبو...»

«هل تعنين بحيرة مراكيبو أم مدينة مراكيبو؟ حيث أن موقع عملنا في الطرف الجنوبي من البحيرة وهي بعيدة بعض الشيء عن المدينة. المكان صغير الى حدّ ما، ولكن هناك المصفاة التي تكفي احتياجاتنا، وهناك أيضا المختبر الذي يعمل فيه باتريك. معظم النفط لايزال يضخ الى المصفاة في مراكيبو ولكن لدينا مايكفينا منه بالطبع».

«اذن، باستطاعة باتريك أن يعمل في المختبرات في مراكيبو، أليس كذلك؟»
«نعم، بالتأكيد انه يعمل هناك من وقت لآخر، ولكن عمله وأبحاثه الاساسية في بورتوريكو».
«آه، فهمت، وما هو عملك؟»
«مهندس بترول. علينا نحن المهندسين أن نتأكد من استمرار ضخ النفط وليس لنا شأن في المواد نفسها. دعينا نتحدث عن شيء آخر غير النفط ياسيدتي».
«حسناً، وأرجو أن تدعوني باسمي روث، فعندما تدعوني بسيدتي أشعر انني كبيرة في السن».
«ولكنك بالفعل صبية، هل أعجبتك غرفتك في الفندق؟»
«نعم انها جيدة، أحببت هذا المكان وهذه البلدة، لم أكن أعرف أنها جميلة هكذا».
«ولكن لاتتوقعي أن تكون بورتوريكو مثل كاراكاس فهي مختلفة تماماً»
«هل تحاول أن تفزعني من بورتوريكو؟»
«لا، أبداً. ولكنني أردت أن أعطيك فكرة واضحة عن البلدة. وبالطبع سوف تعتادين عليها بسرعة، وخاصة أنك لاتزالين في شهر العسل، والسعادة تملأ بيتك فستنسيك أشياء كثيرة».
«نعم!»
«هل تعرفين باتريك من مدة طويلة؟»
ترددت روث في الاجابة ثم قالت:
«لا، ليس وقتاً طويلاً، ولكن هل تعتقد أن الوقت له شأن في توطيد الحب؟»
«كلامك صحيح».
قربت روث صحن الطعام منها ونظرت اليه متسائلة:
«ما هذا؟»
«انها أكلة محلية، هل أعجبتك؟»
«هل هذه أوراق الموز؟»
«نعم، انها مزيج من لحم البقر والخروف، وهي الاكلة الشعبية هنا. وهي لاتحتوي على الكثير من التوابل ولذا خطر لي أنها ربما تلائم ذوقك لتعريفك بالطعام

الفنزويلي».
«هل تأكل دوماً الطعام الفنزويلي؟»
«الطاهي في النادي من المكسيك، وعمل في أوروبا لمدة طويلة ولذلك تجدينه يحضر مزيجاً من أصناف الاطباق العالمية، وهكذا أيضا الحال عندما أطهو لنفسي أختار مختلف أنواع الاطعمة».

أزاحت طبق الطعام جانباً وقالت:
«لا أشعر بالجوع مطلقا».
«أعتقد أنك متعبة وبحاجة الى الراحة».
«لا، لا، لست متعبة»

كانت فكرة الذهاب الى النوم تخيفها وهي دائمة التفكير بما سيحصل في الغد وكل الاسئلة التي راودت عقلها ولذلك سألت:
«أين سنذهب بعد العشاء؟»
«أرى أنه من الافضل أن تأخذي قسطا من الراحة بعد هذه الرحلة المتعبة».
«جون، أرجو أن تسمعني. لقد قطعت هذه الرحلة على مراحل. أصر والدي أن أذهب معه الى نيويورك حيث بت ليلة واحدة ثم اتيت الى هنا. ولذلك تراني غير متعبة».
«حسنا. هل تودين أن تذهبي في جولة تشاهدين فيها معالم المدينة؟»

أجابت روث بسرور:
«حسنا، سنذهب في جولة مثل السيّاح».

كانت امسية رائعة، فقد كان الجو ألطف منه في النهار، وسارا عدة أميال عبر الميادين القديمة ثم اتجها الى المناطق الحديثة منها حيث شاهدا المباني الشاهقة الكبيرة والمكاتب الحديثة والمخازن ومراكز البلدة الهامة. ثم استأجرا تلفريك الى قمة أفيلا حيث شاهدا منظراً عاماً للمدينة بأنوارها الجميلة. ودخلا أحد الفنادق الفخمة في قمة الجبل حيث تناولا المرطبات قبل عودتهما الى الفندق.

ثم قال جون:
«بامكانك استئجار التلفريك والصعود الى القمة حيث غابة الضباب ثم

تشاهدين جاليبان»

سألته روث:

«جاليبان؟ ما هذه؟»

«انه مشتل لزراعة الزهور. وهو جميل جداً».

«وما هي غابة الضباب؟ يبدو أنني جاهلة جداً».

«لا. لست جاهلة. غابة الضباب، غابة صغيرة، يغطيها الضباب دوما ومليئة بالطحالب التي تدهش المهتمين بهذا النوع من النباتات».

«أشكرك على لطفك معي».

تلونت وجنتا جون لأن روث اخجلته بمديحها وشكرها. ثم أجاب:

«لا شكر على واجب. يسعدني أن اعمل شيئاً لسيدة لطيفة مثلك».

عادا الى الفندق حيث ودعته روث وذهبت الى غرفتها. لكنها لم تستطع النوم. فقد كانت دائبة التفكير ومتيقظة جداً. سارت الى النافذة لتتطلع الى الحديقة التي يكسوها الظلام وكانت رائحة الأزهار تملأ الهواء. ثم تساءلت أين ستكون في مثل هذه الساعة من الغد كيف سيكون بيت باتريك؟ كيف سيكون استقباله لها؟ ولا زالت الأسئلة تتسارع في رأسها متمنية لو أنه بامكانها التكهن بتصرفات باتريك كما كان بأمكانها التكهن بتصرفات جون لأحست بالراحة واستطاعت النوم.

ولكن يااللأفكار المخنونة، لو أن باتريك كان سهلاً مثل جون، هل ياترى كانت ستحبه كما أحبت باتريك؟ وعملت المستحيل لتتزوجه؟

احبت باتريك لقوته التي أشعرتها بالتحدي. ولو أنها تزوجت شخصاً عادياً مثل جون لكانت حياتها جحيماً لايطاق. لقد احبت باتريك لشخصيته ولكن ياترى هل أحبها هو؟

٨ ـ عذراء

غادرا الفندق في الصباح ووصلا الي بورتوريكو قبيل المساء. كانت الرحلة مريحة عبر الطريق المعبّد حيث مرا بسلسلة الجبال التي تخللت ماراكي ثم فالنسيا واخيراً باركيسميتو ثم سارا على اطراف مرتفعات سيجوفيا، ثم انحدرا الى بحيرة مراكيبو حوال الساعة الخامسة بعد الظهر. أعجبت روث بالجسر الممتد عبر البحيرة والذي يربط مدينة مراكيبو ببقية المدن، ويبلغ طوله خمسة أميال.

كانت الرحلة في جنوب مراكيبو وحقول النفط في بورتوريكو متعبة قليلا، فبالرغم من اقتراب غروب الشمس فقد كان الطقس حاراً جداً.

كانت روث ترتدي سترة وبنطلوناً من القطن وكانت ملابسها تلتصق بجسمها لكثرة تصبب العرق. كانت نوافذ السيارة مفتوحة للتهوئة، ولكن الغيوم والغبار التي كانت تتناثر من آن لآخر أجبرتها على تكميم أنفها وفمها بمنديل، وحاول جون أن يخفف عنها فقال:

«اقتربنا من المكان».

وتابع كلامه محاولا ان يلهيها عن سوء الرحلة فأشار الى البحيرة الضخمة الممتدة أمامها قائلا:

«هناك مئات الجداول والأنهار التي تنبع من جبال الانديز وسييرابرجا وجميعها تصب في البحيرة ويعتقد بعض الخبراء أن مراكيبو نهراً وليست بحيرة لأنه يفيض أحياناً».

كانت روث متعبة وغير متشوقة لمثل هذا الحديث ولكنها حاولت أن تجامل

جون بقولها:

«أعتقد أن مياهها عذبة».

«من الطبيعي ان تكون مياهها عذبة في الجهة الجنوبية. ولكن حيث تصب في البحر الكاريبي فهي مختلطة بفعل المد».

وافقته روث على هذا التعليق بايماءة من رأسها.

بدت آلات ضخ النفط عبر البحيرة عند غياب الشمس وكأنها غابة من الصواري.

وعندما وصلا الى بورتوريكو كان الظلام قد حل على المدينة ماعدا بعض الانوار المشعة من نوافذ المنازل. وأول صوت سمعته كان صوت الموسيقى المنبعثة من راديو ترانزستور يحمله أحد المارة.

لم تستطع روث تحديد مشاعرها تجاه المدينة، عدا عن أنها كانت مرهقة لتفكر بمشاعرها، وتاقت الى كأس من الماء البارد والى تغيير ملابسها وتمديد أطرافها على الفراش. ويبدو أن جون أدرك حالتها ولذلك لم يحاول أن يفتح معها حديثاً أخر، بل تركها بسلام.

لمع ضوء السيارة الذي كان مسلطاً على مجموعة من المنازل المتشابهة ذات الطابق الواحد. أبطأ جون السيارة متجهاً نحو أحدها وقال:

«ها قد وصلنا».

تطلعت روث تجاه باب البيت متوقعة ظهور باتريك على العتبة ليرحب بها، ومع الاسف لم تجد أحداً فترجلت من السيارة وأحست بالتعب والانهاك. ولكن ألمها لايعادل خيبة أملها عندما لم تر باتريك في انتظارها، حتى ان جون شعر بالخيبة أيضا. ثم سارا نحو الباب وأخذا يطرقانه بشدة. كان البيت مناراً من الداخل ولقد ظنا أنه لابد أن يكون هناك أحد في المنزل.

فتحت الباب فتاة سمراء ذات شعر أسود. تساءلت روث من عساها تكون؟ هل أخطأ جون المنزل؟ ونظرت اليه تستطلع رأيه عندما قال:

«مرحبا لينا، أين باتريك؟»

ترددت الفتاة في الاجابة وبدا شعرها الاسود الداكن جميلا. وفكرت روث أنها لابد أن تكون فتاة اسبانية. ولكن من هي؟ وماذا تفعل في بيت باتريك؟

أجابت لينا بجفاء:

«باتريك ذهب الى مراكيبو ليبحث عنكما».

«يبحث عنا؟ لماذا؟»

«ولم لا. كان قلقاً كثيراً لأن السيدة لم تنم في فندقها ليلة الامس».

«يا الهي. كيف عرف ذلك؟»

أجابت الفتاة وهي تنظر الى روث نظرات باردة يشوبها الاعجاب:

«بالطبع اتصل بالفندق ليلة أمس ولم يجد أحداً».

قالت روث:

«سأشرح له ما حصل...»

فقاطعها جون قائلا:

«لا داعي لذلك. سنعتذر لباتريك بعد عودته».

ثم أدار وجهه الى الفتاة الفنزويلية وسألها:

«متى ذهب؟ هل تدرين كم كانت الساعة؟»

«منذ مدة. حان أو ان عودته الآن».

«حسناً. بامكانك أن تذهبي الآن وسأعتني بالامر».

بدا التمرد على وجه لينا وأجابته بغضب:

«طلب باتريك مني ألا أغادر المنزل لحين عودته».

«لأنه فكر أنه سيعود قبلنا. واذا أردت البقاء فأرجو أن تفعلي شيئاً نافعاً. فالسيدة هاردي متعبة من عناء الرحلة والحر. فهل لك ان تحضري فنجاناً من القهوة أو الشاي؟»

ونظر جون الى روث مستفهماً ماذا تفضل قهوة أو شاياً عندما سمع لينا تقول:

«أنا لست خادمة لأعمل قهوة في بيوت الآخرين».

ثم سارت في الممر ملقية نظرة على روث التي شعرت بالاستياء وقالت لجون:

«آسفة لما حصل».

«لاعليك، تفضلي الى الداخل، وأنا آسف على طريقة الاستقبال هذه».

كان مدخل البيت عبارة عن صالتين متلاصقتين أحداهما للجلوس والأخرى للطعام. وأرض المنزل من الخشب، مغطاة بالسجاد. الأثاث عادي وبدا كأنه لم يلمّع لمدة طويلة. وبالرغم من قلة خبرة روث العملية في التنظيف لكنها تعلمت كيف تدير المنزل أثناء دراستها في المدرسة الداخلية وكيف تشرف على الخدم للمحافظة على نظافة وترتيب المنزل. وشعرت بشيء من الارتياح بالرغم من موقفها الحرج.

وضع جون الحقائب على الأرض في غرفة الجلوس عندما سمعا صوت سيارة تقف في الخارج. وبعد قليل صوت خطوات في الممر حتى وصل الى طرف الباب المفتوح منادياً الفتاة لينا، فلمح روث التي شعرت فجأة بالوهن في جميع أجزاء جسمها عندما نظر اليها باتريك ثم قالت:

«مرحبا يا باتريك، لقد وصلت».

«هكذا على مايبدو».

ثم نظر الى جون وسأله:

«أين كنتما؟ قلقت كثيراً».

رفع جون يده مهدئاً ثم قال:

«أخبرتنا لينا بأنك كنت قلقاً، ونحن نأسف لما حصل. لم أظن أنك ستتصل بالفندق...»

قالت روث:

«انها غلطتي. فلم أرغب في النزول في الفندق الكبير وحدي. وأخبرت جون ليأخذني الى الفندق الذي كان ينزل فيه. انها غلطتي في الحقيقة».

نظر باتريك الى زوجته وفي عينيه بريق بارد وقال:

«فهمت».

«آسف ياباتريك ولا أدري ما أقول. اعذرني».

«لاتهتم ياجون، كل شيء سيكون على مايرام. أعتقد أني متعب قليلا»

ثم نهض جون مودعاً:

«يجب عليّ أن أذهب الآن. لابدّ أن لديكما الكثير لتقولاه لبعضكما. الى اللقاء.»

أجابت روث فجأة بعد أن أخافتها نظرة باتريك:

«لا لن تذهب الآن حتى تشرب الشاي معنا».

«لا، لا شكراً. يجب عليّ أن أذهب وسأراكما في الغد».

فرمقته روث بنظرة شكر وقالت:

«تصبح على خير وشكراً لك على كل ما عملته لنا».

خرج جون وأغلق الباب خلفه وبقيا الآن وحدهما. نظرت روث الى زوجها معجبة بوسامته. كان باتريك يرتدي قميصا وسروالاً من القطن. وكان قميصه مفتوحاً عند الصدر. ولم يبد أي اشارة لتلطيف الجو. فبادرته روث:

«حسناً. كيف حالك؟»

وضع مفاتيح السيارة على المنضدة الجانبية ثم قال:

«لا بأس».

ثم أدرك كم كان جافاً معها فقال:

«لا بد أنك تشعرين بالحرّ. سأريك الحمام حتى تغتسلي لتنعشي نفسك قليلاً ريثما أحضر الشاي».

«هذا لطف منك».

أحست روث بالامتعاض أليس جديراً به أن يرحّب بها في فنزويللا أو أن يريها أي اشارة بأنه سعيد لرؤيتها؟

سارا الى اليمين في الممر الضيق بين الغرف مشيراً الى أحد الابواب على أنه الحمام ثم قال:

«بامكانك أن تأخذي دوشاً ولكن آياك ان تشربي هذا الماء حتى ولاتغسلي أسنانك

به، بل استعملي الماء المغلي لتنظيف أسنانك».

حملت روث بعض الحاجات في يدها ثم قالت:

«حسناً، وأين غرفة النوم؟»

فتح باتريك الباب الملاصق ثم قال لها:

«سننام في هذه الغرفة وهناك غرفة صغيرة ملحقة بها لارتداء الملابس وفيها سرير للحالات الطارئة».

تعجبت روث، ماذا يعني بالحالات الطارئة، ولكنها لم ترغب في السؤال.

كان أثاث غرفة النوم بسيطاً جداً كأثاث غرفة الجلوس، وهناك خزانة للملابس ومنضدة للزينة وسرير حوله ستائر بيضاء. ألقت نظرة على غرفة النوم ثم ذهبت الى الحمام بينما ذهب باتريك الى المطبخ ليعد الشاي.

انتهت روث من الحمام. ثم ارتدت الفستان الاخضر القطني الذي لبسته الليلة السابقة. لم تزين وجهها واكتفت بتمشيط شعرها بالفرشاة ثم وضعتها قرب أدوات باتريك على طاولة الزينة.

دخلت روث الى غرفة الجلوس فوجدت مائدة الطعام مهيأة لشخصين، وفاحت رائحة العجة من المطبخ. ودخلت الى المطبخ الذي كان منسقاً على الطريقة الحديثة وفيه طباخ غاز وثلاجة وغسالة صغيرة. كان باتريك يضع العجة في طبق واسع قرب طبق من السلطة الشهية. احتارت روث ماذا تفعل وقد رآها باتريك في حيرتها فقال لها:

«ماذا فعلت ليلة الأمس؟»

«أخبرك جون بأنني نزلت في الفندق الذي نزل فيه».

«منذ متى بدأت تناديه باسمه الأول مجرداً؟»

«لم لا أناديه باسمه، ظننت أنه صديقك حتى أنك أخبرته عن...»

«بأنك حامل. طبعاً كان عليّ ان اخبره حتى يعتني بك جيداً. وأين ذهبتما بعد أن وضعتما حقائبكما في الفندق؟»

أجابته روث بغضب:

«ذهبنا في جولة في المدينة لنشاهد معالمها. ماذا توقعت أن نفعل؟ نجلس كالبلهاء طوال المساء؟»

«لا، لا لم أتوقع هذا أبداً».

فكرت روث، ما الأمر؟ ولم هو غاضب؟ وأمسكت نفسها كي لاتذهب بعيداً في التفكير ثم قالت له:

«كيف لك أن تتكلم معي بهذه اللهجة. ألم تفكر بمشاعري أيضاً عندما وصلت هنا لأجد امرأة اخرى في المنزل؟»

«امرأة اخرى؟ هل تقصدين لينا؟»

«بما أنها المرأة الوحيدة التي رأيتها لغاية الآن بالطبع انها لينا».

«لينا ليست امرأة. انها طفلة».

«ياسلام!»

حاولت روث جهدها لتبدو هادئة ولكن الدموع سالت من عينيها وقالت:

«هذه الطفلة كانت تتكلم عنك بطريقة ودية جداً».

«ماذا تقصدين؟»

ولكن روث لم تجب. بل وقفت صامتة محتارة في أمرها تفكر كيف يمكن أن تستمر في حب هذا الانسان اذا استمر يعاملها بهذا الجفاء، خاصة وأنهما لايزالان في بداية حياتهما المشتركة. فمنذ وصولها وهو يواجهها بهذه القسوة.

أخذت روث نفساً عميقاً ثم أدارت ظهرها وسارت الى غرفة الجلوس تجيل النظر فيها وكأنها تبحث عن شيء ضائع. كم تاقت للمجيء الى فنزويلا لترى باتريك ولم تصغ لنصائح والدها الذي أصرّ عليها بأن تخبره اذا أحست بالانقباض أو التعاسة لكن كل ما أرادت أن تكون بجانب باتريك، الرجل الذي أحبته. أما الآن...

ناداها باتريك وهو غاضب:

«روث، أرجو ألا تديري ظهرك وتخرجي عندما أتحدث اليك».

«لم لا؟ لماذا أصغي اليك وأنت تتهمني لأني كنت لطيفة مع الرجل الذي أرسلته

بديلا عنك؟»

«لقد أرسلته ليستقبلك، ليس بديلا لي».

«لا. لاتكن سخيفاً.»

أحنت روث رأسها فانسدل شعرها كالحرير فوق وجنتيها ثم قالت محاولة اغاظة باتريك:

«كان لطيفاً جداً معي. على الاقل عاملني بلطف أكثر منك».

كانت روث متألمة جداً من معاملة باتريك حتى أنها لم تستطع اخفاء مشاعرها فصرحت له بهذا محاولة ضبط أعصابها لتبدو طبيعية حتى لاتنهار. ولكن باتريك أدرك مقدار ألمها فناداها:

«روث...»

«أرجوك. لاتقل شيئاً آخر. أرجو أن تخرج وتتركني وحدي».

ولكن باتريك أسرع اليها ووقف خلف ظهرها حتى أحست بأنفاسه حارة على عنقها. وخفق قلبها بشدة وهي لاتعرف ماذا تتوقع منه. فقال لها:

«آسف. لقد كنت أحمق وغبياً».

أجابته روث بدون أن تنظر اليه:

«نعم. أوافقك على ماقلت».

«أرجو أن تسامحيني».

«لماذا أسامحك».

حاولت روث أن تريه قوتها لا أن تستسلم بسهولة فقال لها:

«آه ياروث».

ثم أمسك بذراعيها وحضنها بحنان ورفع رأسها اليه وقال لها:

«هيا لنأكل. فالطعام جاهز على المائدة...»

«لست جائعة».

«أنا جائع... ولكن لرؤيتك. ألم تعرفي بعد بأني غضبت من الغيرة. انني أغار عليك. أغار من أي رجل يقربك. يا الهي، روث، أرجو أن تساعديني. دعيني

أحبك...»

حملها باتريك بلطف وأخذها الى غرفة النوم ووضعها على السرير بحنان...

أفاقت روث من النوم وكانت الغرفة مظلمة، ثم أخذت تتحسس مكان باتريك في الفراش بجانبها فلم تجده. وأخذت تتذكر ما حدث. سحبت الستارة عن السرير ورأت باتريك واقفاً أمام النافذة في الظلام فأخذت تتطلع اليه بشغف ومحبة. كان في منتهى اللطف والحنان. كانت التجربة مؤلمة ولكنها جيدة اذ شعرت بأنها أصبحت زوجة باتريك وهو زوجها...

نزلت من السرير وارتدت الفستان الطويل مما لفت انتباه باتريك فأدار وجهه اليها. لم تر روث تعابير وجهه في الظلام ولكنها نادته:

«ماذا تفعل ياحبيبي، ألم تستطع النوم؟»

سار باتريك نحو الجدار قرب الباب واضاء النور، فرأت وجهه المكفهر وأصيبت برجفة داخلها. قال باتريك:

«لماذا خدعتني؟ هل ظننت أنني لن أكتشف خدعتك؟»

فأجابته ببراءة:

«لا، لا أعرف ماتعني؟»

«من المؤكد انك تعرفين ما أعني. انني أراه في عينيك. آه روث ألم تعرفي بأن الرجل يدرك اذا كانت الفتاة لاتزال عذراء؟»

ووضعت يديها على وجنتيها وقالت:

«آه فهمت!»

«اذن لماذا فعلت ذلك؟»

وهزت رأسها مجيبة:

«أردت الزواج منك».

«يا الهي وأنا الاحمق الذي صدقتك».

وبدأت ترجوه قائلة:

«وهل هذا يهم؟»

«لعنة الله عليك. بالطبع يهمّ. أظهرتني بمظهر الغبي. أظن لهذا السبب لم تودّي أن أعلم أباك. أم أنه كان متآمرا معك؟»

«لا».

«ياللعجب ظننت انه على استعداد لعمل أي شيء لينفذ لابنته الغالية مطالبها».

وبكت بحرقة وقالت:

«باتريك أرجوك».

وتجول في الغرفة بقلق وقال:

«حسناً، أنها الحقيقة أليس كذلك؟ يا الهي عندما افكر، كيف صدقت بأنك حامل».

وبكت روث قائلة:

«لم تكن لتصدق أني لم يسبق أن خرجت مع رجل قبلك».

«وهل تظنين أن هذا كان يبرئك».

«ماذا تقصد؟»

فأجابها بغضب:

«لا، لأنك تحايلت علي لأتزوجك».

كانت كلماته مؤلمة وجارحة فرجته قائلة:

«أرجوك لاتكلمني هكذا».

«ولم لا؟ انها الحقيقة. وأنت تعرفين ذلك».

«اذن لماذا لم...»

«لماذا لم اتوقف عندما أحسست بالحقيقة؟ لأنه كان هناك نقطة اللاتراجع، ألم تدركي ذلك».

وشعرت روث بالغثيان وقالت:

«أرجوك لاتكن هكذا».

«وماذا تتوقعين مني؟»

«حسناً، ماذا تنوي أن تفعل؟»

«لا أعرف بعد».

أخذت روث نفساً عميقاً ثم قالت:

«سأعود الى انكلترا...»

صاح باتريك وقد استشاط غضباً:

«لا، لن تفعلي هذا».

«لم لا، اذا كنت نادماً على الزواج مني؟»

«الامر أكثر من أن أكون نادماً أو غير نادم. جعلت مني أحمق ياروث، ولكنني لن أدع أحداً يتشفى بي».

«لا أدري ماذا تعني؟»

«أعني الناس من حولي. الاصدقاء وزملاء العمل. ماذا سيفكرون اذا أنت عدت في اليوم التالي لوصولك؟»

حزنت روث لأن باتريك لم يحسب حساباً لمشاعرها بل كان مهتماً لما سيقوله الناس، فقالت:

«لايهمني ما سيقوله الناس».

«اذا لم يكن يهمك أحد، فهناك شرط آخر. حذرتك قبل الزواج بانني غير مستعد لأن اطلقك لأي سبب من الاسباب وقد عنيت كلامي. اننا متزوجان أمام الله والناس وسنبقى مع بعضنا البعض الى الابد».

أجابت بصوت مرتجف:

«لاتستطيع أن تجبرني على البقاء هنا.»

«لا أستطيع؟ أنا احذرك، لو تخطيت هذه المنطقة سأبحث عنك أينما كنت وأجلبك بالقوة. أنت لم تعرفي القوة في حياتك. فوالدك كان يدللك كثيراً.»

حملقت روث فيه بدهشة غير مصدقة اذنيها وقالت:

«لا تكلمني هكذا، نحن لسنا في القرن التاسع عشر».

«ولكن هذا أنا، وصدقيني بأنني أعني كل كلمة».

نظرت اليه روث غير مصدقة كلامه ورأت الغضب في عينيه وأنه جاد في

كلامه كل الجد. وبالرغم من ضيقها لطريقته في الكلام شعرت بالحب نحوه. ثم نادته باستعطاف:

«باتريك!»

لم يصغ أليها ولكنه قال:

«عودي الى فراشك».

وأخذ ينتظرها حتى تعود الى الفراش ثم أطفأ النور. ولكن روث صاحت متمردة:

«لا، لا تأمرني هكذا».

«سآمرك».

ثم حملها غصباً عنها وحاول أن يضعها في الفراش، ولكن روث تعلقت برقبته معبرة عن حبها له. ولم يستطع شيئا أمام حرارة عواطفها...

٩ ـ لا حب بعد اليوم

أفاقت روث من نومها بمشاعر جديدة غريبة لم تدركها.وأخذت تحدق في سقف الغرفة محاولة استعادة حوادث ليلة الأمس. ثم شعرت بالحرارة وأدركت بأنه بالرغم من النوافذ المغلقة تسربت أشعة الشمس.

شعرت بالثقل يسيطر عليها وأحست أنها وحيدة في الغرفة. فنظرت الى ساعتها وكانت العاشرة صباحاً. وانزعجت لأنها لم تستطع أن تنهض مع باتريك في الصباح لتهيء له الافطار. أما الآن فقد ذهب الى عمله منذ ساعات.

نهضت من الفراش وسارت نحو النافذة لتفتحها. شعرت بالحرارة تلسعها ولكنها أخذت تسترق النظر الى بورتوريكو. انها تشبه القرية في كثير من الاشياء لكن البيوت كانت حديثة ومسبقة الصنع.

كان بيت باتريك يقع على رأس الطريق المنحدر حتى وسط المدينة. كانت جميع البيوت في هذا الشارع متشابهة. نظرت الى حديقة البيت ووجدتها منسقة بعناية ومزروعة ببعض أنواع الزهور والخضار. ثم رأت بعض الملابس المغسولة وقد نشرت على الحبال أمام المنازل الأخرى. فأدركت روث بأن عليها أن تعمل كل شيء بنفسها حتى الغسيل.

شدت ثوبها الفضفاض حول جسمها ثم مشطت شعرها وفتحت باب غرفة النوم وخرجت حافية القدمين ثم أخذت تنادي زوجها لعله مازال في البيت:

«باتريك؟ هل أنت هنا؟»

فلم يجبها أحد. ثم سارت الى غرفة الجلوس ومنها الى غرفة الطعام فالمطبخ.

رأت العجة التي عملها باتريك ليلة الامس وطبق السلطة بجانبها وفوقها الذباب. حملت الاطباق وأفرغتها في سلة المهملات ووضعتها في المغسلة. نظرت الى المغسلة المليئة بالاطباق القذرة وهي لم تتناول أي وجبة بعد. وبينما كانت تستعد لغسل الاطباق سمعت طرقاً على الباب. توقعت أن يكون باتريك هو الآتي، ولذلك أسرعت الى غرفة الجلوس ثم الردهة الأمامية لتفتح الباب. ولكنها رأت امرأة غريبة تبدو في الاربعين من عمرها وأخذت تحدق بروث بدهشة لأنها لا تزال مرتدية ثوب النوم.

فتحت روث الباب وحيتها:

«صباح الخير».

«صباح الخير. لابد أنك السيدة هاردي. أنا جولييت كارتر وزوجي زميل لزوجك في العمل».

«لزوجي، آه تعني باتريك».

«نعم. هل أتيت في وقت غير مناسب؟»

«لا، لا أبداً. أرجو أن تتفضلي. هل تودين أن تشربي القهوة معي أو أي شيء تفضلين؟»

تمنت روث أن ترفض المرأة تناول أي شيء فهي لاتعلم أين القهوة والشاي في المنزل. ولابد أن دعاءها استجيب اذ رفضت المرأة أن تشرب شيئا قائلة:

«لا، لا اريد أن أؤخرك عن...»

لا بد أنها لم تختر الكلمات المناسبة ولكنها أدركت أن روث نهضت من النوم لتوها. فابتسمت روث وتابعت المرأة قائلة:

«كما قلت، لا أريد أن أؤخرك عن عملك، وانما أتيت لأدعوك وزوجك لحفلة صغيرة في النادي هذا المساء، لنحتفل بزواجكما مع أنها متأخرة ولكن أفضل من أن لانقوم بواجبنا نحوكما أبداً».

«هذا لطف منك، ولكن...»

«ولكن ماذا؟ يجب أن نراك، فليس لدينا كل يوم سيدة جديدة في النادي، عدا عن

أن باتريك لايستطيع أن يحتفظ بك لنفسه فقط».
«لا أدري ماسيفعل زوجي هذا المساء».
«ما يعمله كل ليلة. اما أن يبقى في البيت أو يأتي الى النادي. نقيم بعض حفلات العشاء في النادي من آن لآخر، ولكن لاتقلقي بأن يكون لديه ارتباطات سابقة».

لم تجد روث أي عذر يمكن أن تبديه حتى لاتذهب. ولذلك أجابت:
«ربما ليست لديه ارتباطات. في أية حال سأخبره بأمر الدعوة».
«آه، لابد أن بادي سيعلمه بالموضوع قبل أن يعود الى البيت».
«بادي؟ من يكون؟»
«زوجي، بادي كارتر. ستقابلينه هذا المساء».

هيأت جولييت نفسها للذهاب ثم قالت:
«سأتركك الآن لتتمـي عملك. وأرجو أن لاترهقي نفسك بالعمل؟»
«لماذا؟»

نظرت اليها روث باستغراب في حين أجابتها جولييت:
«لماذا؟ حتى لاتصيبكِ ضربة شمس أو أي شيء آخر».
«لا، لن ارهق نفسي».

وفكرت روث بأن هذه السيدة تعلم لماذا تزوجت باتـريك. ثم ودعتهـا وانصرفت. أغلقت روث الباب بالقفل ثم ذهبت لتستحم.

لم تعرف روث متى سيعود باتريك. ولم تدر اذا كان عليها أن تهيء له طعاماً للغداء. وفي الظهر شعرت روث بالحرارة القاتلة وأحست وكأنها على وشك الاغماء. ثم تذكرت بأنها لم تأكل شيئاً منذ الصباح، حيث اهتمت بترتيب المطبخ قبل عودة باتريك ونسيت نفسها بدون أكل. اعتادت أن يكون هناك من يهيء لها طعامها دوماً.

ملأت الابريق بالماء ووضعته على النار وأخذت تنتظر الماء ليغلي بفـارغ الصبر. في الصباح كانت مشغولة بالترتيب والتنظيف ولـم يكن لديهـا وقـت

للتفكير أما الآن فهي تشعر بثقل في صدرها. وتذكرت بأن علاقتها باتريك ليست على مايرام. لقد تجادلا طويلا ليلة الأمس ولا تعتقد روث بأنه سامحها على خدعتها.

سارت نحو النافذة متكئة على حافتها متطلعة الى الجهة الخلفية من المنزل ورأت بعض النباتات الخضراء المزروعة في الخلف. وأخذت تفكر بنفسها وما سيحصل لها؟ لقد رفض باتريك ان يطلّقها وكذلك رفض أن يدعها تعود الى انكلترا. فهل احتفظ بها في فنزويللا ليذلها ويعذبها؟ لأنه بالتأكيد لايهتم لما يقوله الناس.

وضعت روث يدها فوق جبينها وأحست بالحرارة تعتريها. وأحست بالدوار وكأنها تغرق في بحر عميق. وأمسكت بالمغسلة حيث كانت أقرب شيء اليهما تطلب الخلاص. وأخذت تقنع نفسها بأن هذا الدوار بسبب شدة الحرارة فقط وبما أنها لم تأكل شيئاً منذ الصباح. فما عليها الا أن ترتاح قليلا وسيكون كل شيء على مايرام.

ولكن في الحقيقة لم تعد روث في حالتها الطبيعية. فقد شعرت بالغثيان بالرغم من عدم وجود شيء في جوفها. لم تشعر روث في أي مرة بالشفقة على نفسها ولكنها هذه المرة بدأت تشعر بالشفقة على نفسها لأنها لاتدري ماذا تفعل؟

سمعت روث صوتا آتياً من الباب الأمامي. يبدو وكأن أحدهم يحاول الدخول الى المنزل فتذكرت روث بأنها أغلقت الباب بالمزلاج بعد خروج زائرتها جوليت كارتر.

حاولت أن تسرع لتفتح الباب وما أن وصلت الى باب المطبخ شعرت بانه لم يعد بامكانها أن تتحرك قيد انملة وأحست بالأرض تدور بها كسفينة تتلاطمها الامواج في عرض البحر. وطفرت الدموع من عينيها.

يبدو أن الشخص الذي حاول أن يدخل المنزل عاد أدراجه من حيث أتى. فاذا كانت السيدة كارتر عادت لتتكلم مع روث فلعلها تظن وتشعر بشيء غير طبيعي. أما اذا كان باتريك فلا بدّ ان يجرّب مرة اخرى لأنه متأكد بأن هنالك

احداً بالبيت.

سمعت روث صوت باتريك خلفها. أرادت أن تدير وجهها لتراه وخارت قواها وكادت تسقط ولكنها لمحت باتريك مسرعاً ليمسكها من ذراعيها وعلى وجهه نظرات الاهتمام والقلق بدلا من الغضب، وصاح قائلا:

«روث، يا الهي مابك؟»

أسرع باتريك ليمسكها من ذراعها وهي تقول:

«أشعر بالوهن والدوار، أريد أن أتقيأ...»

حملها بين ذراعيه بسرعة ثم وضعها على السرير في غرفة النوم. كان وجهها شاحباً، وشعرها مبللا من العرق بسبب الحرارة والرطوبة. وقف باتريك ينظر اليها بفارغ الصبر ثم سألها:

«ماذا فعلت ليصيبك هذا الدوار؟»

«لم أفعل الشيء الكثير. فكل مافعلته أنني أردت ترتيب المطبخ».

«في هذا الحرّ؟ ألم تعلمي أنه عليك اعتياد على الجوّ أولا قبل أن تقومي بمثل هذا الجهد هل اكلت شيئاً؟»

«نسيت أن افطر».

«لماذا يا روث؟»

«آسفة، أردت أن أرتب...»

«كان عليك أن لاتعملي أي شيء».

«انه عملي ويجب أن أقوم به».

«لاتكوني سخيفة. لقد عملت ترتيباً مع الخادمة لتأتي يومياً لتنظيف البيت بدلا من مرتين في الاسبوع».

بدأ الدوار يخف عن روث وحركت نفسها بصعوبة ثم قالت:

«أه، باتريك، أستطيع ان أقوم بالتنظيف بنفسي».

«حقاً، وما الخبرة التي لديك في ادارة المنزل؟»

«درست دورة مكثفة في ادارة المنازل».

«ادارة المنازل ماذا تعلمك؟ كيف تتعاملين مع الخدم؟»

أعادت روث رأسها الى الوراء ثم قالت:

«باتريك أرجوك لاتهزأ بي».

وبدا على باتريك وكأنه أراد أن يزيد في القول ولكنه خرج من الغرفة. وسمعته روث يفتح علبة الشاي ويضع بعضه في الابريق. ثم سمعته يصب الشاي في الفناجين. كانت متمددة في السرير منهكة القوى بدون حراك. ومع أن قميصها كان من القطن الناعم شعرت بثقله وحاولت أن تنهض من الفراش ببطء وشعرت بأن الصداع زال. وما أن وقفت بجانب الفراش حتى دخل باتريك ورآها نهضت من فراشها فصاح بها:

«عودي الى فراشك».

كان صوت باتريك حازماً مقنعاً حتى أنها لم تناقشه بالامر، خاصة وقد كان يحمل الصينية وعليها فناجين الشاي، فعادت بسرعة الى الفراش. وضع باتريك الصينية على المنضدة الصغيرة قرب السرير. ثم ناولها فنجاناً وأخذ لنفسه فنجاناً آخر بعد أن حلاه بالسكر. وجلس على الكرسي في الطرف الآخر من السرير.

شربت روث الشاي وهي تشعر بالضيق لأنها عاجزة حتى عن القيام بمهمة عمل الشاي لنفسها. وصممت على الاعتناء بنفسها في الغد. ستأخذ الفطور منذ الصباح ولن تترك هذه الحالة تنتابها مرة اخرى. وسألها باتريك:

«هل تشعرين بتحسن؟»

«نعم، شكراً على سؤالك. هل تأتي الى البيت عادة في وقت الغداء؟»

«هذا يعتمد...»

«يعتمد على ماذا؟»

«لغاية الآن كنت أتناول معظم وجبات الغداء في النادي، ولكن في بعض الايام حين يكون لدي بعض الاعمال احضر جميع أوراقي الى البيت واعد لنفسي بعض السندويشات».

«آه، فهمت، ولكنك لم تخبرني شيئاً عن عملك بعد».

«لم يكن هناك وقت كثير».

«هذا صحيح، ولكن أرجو أن تخبرني بعض الشيء لأنني أكره أن يسألني أحد شيئاً ولا أستطيع أن أجيبه».

«يسألك عن ماذا؟»

«مثلا هذا الصباح جاءت الي زائرة».

«صحيح؟ من جاءك؟»

«سيدة تدعى جولييت كارتر، فهمت منها أنك صديق زوجها».

«نعم أعرفها جيداً. أخبرني زوجها عن حفلة للنادي هذا المساء ولم يخطر لي أن جولييت جاءت لتدعونا رسميا».

أنهى باتريك فنجان الشاي ووضعه على الصينية، عندما سألته روث آملة أن يوافق:

«ألا ترغب في الذهاب الى النادي؟»

«كنت أنوي أن آخذك للعشاء في النادي هذا المساء، قبل أن أعرف بأمر الدعوة. في الحقيقة أتوقع أن نتناول معظم وجبات العشاء في النادي مثلما كنت أفعل قبل مجيئك».

صاحت روث برعب:

«لا، سنتناول طعامنا في البيت. فأنا أعرف الطهي».

أجابها باتريك بخبث:

«هل حقيقة أنك تعرفين كيف تطهين؟ وهل أفهم من كلامك هذا بأنك قررت البقاء هنا؟»

نظرت اليه روث وهي تشعر بالوهن من تأثير كلامه ثم قالت:

«هل تريدني أن أذهب؟»

فنهض باتريك عن الكرسي ثم أجابها:

«لقد أعلمتك برأيي ليلة أمس عندما قلت لك بأني لن أدعك تذهبين أبدا. وما

قصدت بكلامي هو بأنني أفهم من كلامك بأنك قد قبلت هذا العرض أو هذا الوضع».

لم تدر روث بما تجيبه. فهو قادر على أن يلجم لسانها بقدرته الفائقة على الكلام. ولما رأته ينهض من كرسيه سألته:

«الى أين أنت ذاهب؟»

«كنت أتأهب لاعداد شيء للطعام. فيجب أن تأكلي. ألست جائعة؟»

حاولت روث جهدها أن تنهض قائلة:

«في استطاعتي أن أعمل شيئا للغداء».

بدأ باتريك يجمع فناجين الشاي على الصينية متأهبا لأخذها الى المطبخ ثم قال:

«أعتقد أنه بامكانك أن تأخذي اليوم اجازة من العمل حتى تعتادي على الجو والبيت. كما أنني قادر على انهاء هذه المهمة دون مساعدة امرأة مريضة».

«ياه، انك لئيم».

«ماذا تتوقعين؟ أن أعاملك بلطف؟ أنسيت بأنك غير حامل؟»

تمنت روث أن ترد له الصاع صاعين عندما يهينها هكذا. ولكنها غير قادرة، وهو قاسي معها. لحقته روث الى المطبخ وأخذت تراقبه وهو يفتح الثلاجة وأخذ يتطلع الى محتوياتها. ثم أخرج احدى العلبات وفتحها وأدركت روث انها شورباء الخضار واللحمة. أفرغ باتريك محتويات العلبة في وعاء ووضعه على النار، ثم أدار وجهه اليها وقال:

«هنا محل يبيع تقريباً كل شيء».

«أعرف، لقد أخبرني جون عنه».

ودت روث لو أنها لم تلفظ جملتها الاخيرة، بعد أن رأت ماطرأ من تغيير على وجه باتريك الذي أجابها:

«أقترح أن نتسوّق منه بعد الظهر».

«حسناً».

نظر اليها باتريك معجباً بجمالها ثم قال:
«هل لك أن ترتدي ملابساً أكثر احتشاماً عندما نذهب الى السوق؟»
شعرت روث بالخجل من ملاحظته وقد توردت وجنتاها ولكنها لم ترغب في أن تظهر له ذلك فأجابت:
«لماذا؟ هل الرجال فقط يلبسون البنطلونات هنا؟»
«لا أعتقد ان أي رجل يجرؤ على ارتداء بنطلون كهذا، بالاضافة الى أنه ليس الرجال الذين سيعترضون».
«اذن لماذا أهتم برأي النساء الأخريات بي؟»
«أنا مهتم».
«وهل هذا ينطبق على ما أرتديه هنا؟ وبالمناسبة يجب أن أخبرك بأنني لم أكن مرتدية ملابس بعد عندما حضرت صديقتك السيدة كارتر هذا الصباح، بل كنت لا أزال في ملابس النوم».
كانت ملامح باتريك توحي بعدم ارتياحه لتعليقها هذا ولكنه لم يرد عليها بل قال:
«أرجو أن تحضرَي المائدة».
ثم تناول طبقين للشوربا. أرادت روث أن تتمرد عليه وترفض أن تعطيه وتلبي طلباته لكنها عملت ماطلب منها.
أنهت روث طبق الشوربا بشهية لأنها كانت جيدة جداً ثم صنعت القهوة وقدمت فنجاناً لزوجها وجلست على الكرسي محنية رأسها الى الوراء مرهقة من الحر.
لا شك أن باتريك اعتاد هذا الحر فلم يتأثر به مثلها بالطبع، كان يعرق كأي شخص آخر لكنه لا يبدو منهاراً ومنهك القوى. حاولت روث أن تبدو طبيعية ثم سألته:
«أخبرني أين تعمل، وهل بامكاني زيارة المكان والاطلاع على عملك؟ وهل أنت عائد الى العمل اليوم، لقد فكرت أنهم منحوك بعض الوقت لتبقى مع زوجتك...»

«انهم بالفعل فكروا بأنني محتاج لهذا الوقت».
«ألم تعتقد بأنك تحتاج اليه؟»
«لا داعي لأن تستشيريني. فليس هناك أي علاقة خاصة بيننا لأحتاج الى اجازة. هل اجابتي واضحة؟»
«لا اعتقد أنك تعني ماتقول؟»
«بل عنيت ما قلت».
«ولكنك ليلة الامس...»
«كنت سخيفاً ليلة الامس. ولن أسمح لنفسي أن أكرر هذا».
«ولكنك ـ اردتني...»
لم ينمّ وجهه عن أي تعبير ثم قال:
«لاتنسي أنني رجل. وأؤكد لك بأنني لن أفعلها ثانية معك».
«كيف ـ كيف تجرؤ على قول هذا».
«دعينا نكون صريحين مع بعضنا البعض، لا أنكر أننا متزوجان وسنظل هكذا ـ ولكنك لست أكثر من مدبرة هذا المنزل ـ لاشيء أكثر من هذا».
«واذا رفضت هذا المنطق».
«بحثنا الأمر ليلة البارحة».
اتجهت روث الى الباب لتخرج من الغرفة ولم يحاول باتريك ايقافها. ولكنها استدارت نحوه وقالت له:
«لا أعتقد أنك تتوقع مني قبول هذه العيشة».
«لم لا؟ كثير من النساء يعشن هكذا».
«أنا لست واحدة منهن ـ فأنا روث».
«كان عليك أن تفكري بهذا قبل أن تجرّي نفسك الى ما أنت فيه. فأنا لا أتعاطف معك لأنك جلبت كل هذا لنفسك».
«آه... كم أكرهك، حذرتني جولي، من حبك ـ أخبرتني بكل هذا من البداية».
«والآن اكتشفت صحة نصيحتها أليس كذلك؟»

«لطفاً ياباتريك...»

«ان التظاهر بالبراءة لايناسبك عدا عن أنني أكره النساء المتمسكنات المتوسلات».

لاحظت روث لهجته المتعالية والجادة معها فتركت الغرفة مسرعة الى غرفة النوم حيث ارتمت على السرير مجهشة بالبكاء. لانها أدركت بأنه يعني كل كلمة قالها، أنه يحتقرها ولا بدّ أنها غفت بعد نوبة البكاء الشديدة واستيقظت على يد باتريك تهزها لتوقظها قائلا:

«اذا أردت أن تأتي معي الى السوق فلا بد لك أن ترتدي ملابسك الآن».

أخذت روث تتململ في الفراش وكان منظرها جميلا ومغرياً. ولاحظت تعابير وجه باتريك وهو ينظر اليها وفي عينيه الحب والاهتمام، فأمسكت بذراعه ونادته بدلال:

«باتريك».

ولكنه قفز عن السرير كالملسوع قائلا بشراسة:

«روث، هل ترغبين بالمجيء معي؟»

وصدمت روث للتغير المفاجيء في تعابير وجهه وعينيه وتذكرت قراره الاخير. نهضت روث من الفراش وقد شعرت بالراحة بعد النوم وأحست بأن الجو أصبح أقل حرارة من الصباح.

خرج باتريك من الغرفة تاركا روث لتستحم وتغيرّ ملابسها.

لاتزال معظم ملابسها في حقائبها لم تعلّق بعد، ولكن معظم هذه الملابس من النوع الذي لايتجعدّ بسهولة ولذلك سهل عليها ان تختار بلوزة وتنورة لترتديهما للذهاب للسوق.

لم تضع روث أي نوع من المساحيق على وجهها في هذا الطقس. بل مشطت شعرها الذي بدا جميلا ثم ذهبت الى غرفة الجلوس وقد بدت نشيطة وجميلة.

نهض باتريك من مكانه عندما دخلت تاركاً أوراقه وأشغاله ثم قال لها

بدون أن ينظر اليها:

«هيا بنا فبامكاننا أن نمشي الى هناك».

كانت أول مرة منذ وصلت تشاهد فيها المدينة عن كثب. وسارا في المنحدر الذي يقود الى المركز الرئيسي للمدينة والمحاذي للبحيرة، أخذ باتريك على عاتقه شرح مصادر البترول الواسعة ومع أنهما لم يذهبا قرب البحيرة لكن روث استطاعت أن تقدر مدى حجمها.

لم تتوقع روث ان تكون المنطقة السكنية بهذا الامتداد، وعندما سمع باتريك تعليقها هذا أخبرها بأن عدد السكان هنا يتجاوز الالف نسمة مابين مدراء ومهندسين وعلماء وحفارين وعمال. ثم قال:

«ومعظم الحفارين من أهل البلد، وبرغم هذا لايزال هناك جالية كبيرة من أميركيين وبريطانيين وألمان وطليان».

وفي طريقهما الى المحل للتسوق قابلا العديد من الناس الذين عرفها عليهم باتريك. نسيت معظم اسمائهم ما عدا بولين ديزني التي أخبرها باتريك بأنها متزوجة من فني يعمل معه في المختبر. وقد وعد معظم هؤلاء الناس بمقابلتهما اليوم مساء في النادي. وتمنت روث أن تبدو طبيعية وهادئة بالرغم من علمها بمشاعر زوجها نحوها.

وبالرغم من صغر هذه المنطقة التي لم تتجاوز حجم القرية فلها مميزاتها الخاصة التي جعلتها تبدو مختلفة. فالمنازل جميعها متشابهة ومعظم البيوت لها حديقة صغيرة من الخلف مزروعة بالخضار والأزهار الجميلة وتطير منها القبرات والعصافير المغردة.

لم يبالغ باتريك بقوله بأن هذا المحل يبيع كل شيء، ولكن روث لم تعرف ما هو دخل زوجها ومعدل صرفه لأنه هو الذي سيدفع الحساب ولن يقبل أن تشارك في الدفع. قرأ باتريك أفكارها وعرف بماذا كانت تفكر فقال لها:

«اشتري مايحلو لك على أن يكون ضرورياً فأنا لست معدماً لأهلك نفسي من الجوع».

شعرت روث بالخجل لكلامه ولكنها ارتاحت لمعرفتها الوضع. فهرعت الى الرفوف تنتقي الحاجات بينما أخذ باتريك يدردش مع المدير الفنزويلي أنطونيو غوميز.

لم يكن هناك الكثير من الأطعمة الطازجة ولكن هناك كميات كبيرة منوعة من الاطعمة المثلجة. أحبت روث خبز الحنطة المدعو ايرباس وكذلك أصرّت على ان تشتري الطحين لتعمل هذا الخبز بنفسها، وعندما جاءت روث الى صندوق المحاسبة كانت سلتها مليئة بالحاجات، حتى أن السيد غوميز ألقى نظرة عطف على زوجها قائلاً:

«أرى أن زوجتك عملت بموجب كلمتك لها تماما ياسيد».

ثم ضحك، أما روث فقد كانت خجولة وسألته:

«كيف سنحمل هذه الحاجات الى المنزل؟»

أجابها باتريك:

«انطونيو لديه نظام جيد لتوصيل الحاجات للمنازل ياعزيزتي».

وتطلعت اليه روث بعد ان دعاها بعزيزتي ثم أدركت أن هذه الكلمة فقط أمام المدير ولايمكنها أن تعتبرها جدية. وقبل أن يخرجا من المحل تناول باتريك قبعة من احد الرفوف ووضعها على رأس روث ثم خرجا. وعندما سارا الى البيت كان الظلام قد بدأ يحلّ. بادرها باتريك قائلاً:

«حسناً؟»

«حسناً ماذا؟»

«هل أرقتك للخدمات المتوفرة هنا؟»

«لابأس بها، ولكن لماذا تسأل أيهمك رأيي؟»

«معك حق».

١٠ ـ الرحلة المرفوضة

كانت هناك نشاطات متعددة في النادي الرياضي في بورتوريكو فبالاضافة الى المطعم والمقهى هناك بركة سباحة تضاء بالانوار الكشافة في الليل اذا ما أراد أحد استعمالها في وقت متأخر، وملاعب التنس وقاعة كبيرة للعب البينغ بونغ وقاعة للعب الاسكواتش عدا عن ملعب لكرة القدم. وكانت حفلات الرقص تعقد في القاعة الكبيرة من النادي مرتين في الاسبوع وكذلك باستطاعة أهل بورتوريكو مشاهدة فيلمين في الاسبوع في القاعة نفسها لأن النادي هو المركز الثقافي والاجتماعي للسكان ولذلك تجد المطعم والمقهى مكتظا بالزبائن معظم أمسيات الاسبوع.

أما بالنسبة لروث فهو شيء جديد ومثير. وقد رحب بها أعضاء النادي بحرارة مما جعلها تنسى كل مشاكلها وتعيش لحظات الفرح معهم عدا عن أن باتريك كان لطيفا جدا معها أمامهم وسرت روث لمعاملته بالرغم من علمها بأن يتصنع ذلك. وقد لاحظت روث أن زوجها يصبح لطيفا وكريما معها عندما يكون هناك أناس آخرون لذلك قررت أن تمضي معظم أوقاتها بصحبة الآخرين حتى تتمتع ببعض العطف من زوجها ومحبته حتى ولو كانت مصطنعة.

اعتنت روث بمظهرها كثيراً هذه الليلة، فاستحمت قبل ارتداء فستانها الشيفون ذا اللون الكريمي مما أبداها أكثر بياضاً. فقد كانت رائعة الجمال وكان شعرها منسدلا على كتفيها كالحرير.

ولاحظت باتريك يطيل النظر اليها عندما أتمت زينتها هذا المساء استعداداً للخروج أما هي فقد جذبتها اناقته الرقيقة في البدلة الكحلية حتى أنها نظرت اليه غير عابئة برد فعله.

تناولا طعام العشاء في النادي حيث كان الاحتفال على شرفهما بمناسبة الزواج. كان هناك الكثير من التعليقات على العروسين وسرّت روث لأن روح الدعابة لدى باتريك كانت مرتفعة واستمع اليهم بابتسامة هادئة.

كان جون هيوارد هو الوجه المعروف والمألوف لروث من بين الجميع، مع أنها قابلت جولييت كارتر والآخرين الذين قابلتهم في طريقها الى السوق هذا المساء. وبما أن بولين ديزني كانت في النادي اندمجت روث معها في الحديث. وأخبرتها بولين بأنها تزوجت منذ سنتين وليس لديها أطفال بعد.

وبعد العشاء دعا باتريك الجميع الى القاعة الأخرى لتناول القهوة والمرطبات، وجاء جون هيوارد ليحيي روث التي بادرته:

«ألست متزوجاً يا جون؟»

كانت روث تعلم أنه غير متزوج فقد أخبرتها بولين بذلك. أما جون فقد توردت وجنتاه وبدا صغير السن وأجابها:

«لا. لست متزوجاً بعد».

«ألا تشعر بالوحدة؟»

«ستجدين كثيراً من الرجال أمثالي غير متزوجين، وبعضهم متزوج وزوجاتهم يعشن في مدن اخرى، فهن لايقبلن العيش في هذا الجو».

«لماذا لايقبلن السكن هنا؟»

«لأن الحرارة مرتفعة عدا عن الذباب والامراض التي تنتشر بسرعة، ولذلك يجب أن تغلي كل قطرة من المياه قبل استعمالها. الحياة ليست جميلة كما تبدو في هذه الامسية».

«أعلم هذا. ولكن كل شيء يعود للزوجة التي عليها ان ترافق زوجها أينما يعمل».

«اذا تحدثت مع احدى الزوجات فسوف تجيبك بأنها امرأة حساسة لاعبدة،

ولاتستطيع ان تدفن نفسها في هذا الجو المرهق، بل أنها تستحق ان تعيش حياة مرفهة رفيعة. والزوجات يطلبن من أزواجهن ان يحضروا الى البيت في ساعات معينة وان يتهندموالهن بآخر صيحات الموضة والاناقة في حين ان الرجل هنا يعود الى البيت منهك القوى ذهنياً وجسدياً. لايستطيع مجاملة احد، ويصبح عملياً. فالمجاملة تتطلب منه بعض الجهد.»

«ولكن في هذا الوقت يحتاج الرجل لزوجته أكثر».

«هذا صحيح ولكن قليل من النساء يفهمن ذلك».

«أظن انك تبالغ ياجون فهذه بولين تعيش مع زوجها».

«لا شك ان هناك شواذ لكل قاعدة، ولكن لاتنسي ان بولين تحب زوجها لانقوده».

تعجبت روث من اجابته هذه ثم قالت:

«يبدو ان فكرتك عن النساء ليست حسنة، أليس كذلك ياجون؟»

«الامر يعتمد على المرأة».

وفي هذه اللحظة وصل باتريك وقال بخبث:

«انك تستفرد بالحديث مع زوجتي ياجون؟»

شعرت روث انه لايمزح بل كانت لهجته جادة اكثر منها مازحة فهي تفهم زوجها جيداً. فرد عليه جون:

«آسف».

«لا تأسف لقد استمتعت بالتحدث معك».

ثم ادارت وجهها الى باتريك وقالت:

«هل أردت مني شيئا ياحبيبي؟»

«نعم، أردتك ان تقابلي البروفسور راندال مديري في العمل وزوجته اللذين وصلا لتوهما».

«بالطبع، بالطبع».

ثم نظرت باتجاه جون وقالت:

«عن اذنك، سأراك في وقت آخر».

أحنى جون رأسه مودعاً روث التي ذهبت مع زوجها لتقابل الضيوف. كان الاستاذ راندال شخصية جذابة في الستين من عمره وشعره أبيض مما جعله ذا هيبة وجلال. كان يسير بنشاط لايدل على عمره. واذا صافح احداً شد على يده بحرارة. أما زوجته فلا بد انها تصغره بعشر سنوات على الاقل. كانت نحيلة الجسم وطويلة ترتدي فستاناً من التفتا السواريه. كانت أنيقة جداً وكأنها متأهبة لحفلة في أحد الفنادق الفخمة في لندن لافي الغابات الماطرة في فنزويللا. سرّت روث بمقابلتها حتى أنها قبلت الدعوة لتناول الشاي مع السيدة راندال التي أحبت روث بدورها. ونظرت روث الى باتريك مبتسمة بفخر لأنها نالت رضا الزوجين.

عادا الى المنزل بعد هذه الامسية الجميلة. لم يتكلم باتريك طوال رحلة العودة. مما أكد لروث بأنه يجب ان يبقيا مع الناس معظم وقتهما ليصبح باتريك اجتماعياً ولطيفاً معها. وأخذت روث تفكر بما سيحصل عندما يدخلان البيت. وكما ظنت اختفى باتريك بعد دقائق من دخولهما الى غرفة الجلوس. واخذت روث تبحث عنه في ارجاء البيت حتى وجدته في غرفة النوم المخصصة للضيوف يخلع ملابسه استعداداً للنوم في هذه الغرفة. فسألته:

«لماذا تخلع ملابسك في هذه الغرفة؟»

«لأنني أنوي النوم فيها».

«لا أظن انك تعني هذا، كيف سنعيش منفصلين؟»

«لم أقل أننا سنعيش منفصلين، ولكننا سننام منفصلين، كل في غرفة».

دمعت عينا روث وناداته بصوت ملؤه الرجاء:

«باتريك!»

«أرجوك ياروث ان تذهبي الى غرفتك».

«ولكن كم سنبقى على هذه الحالة؟»

«مدى الدهر...؟»

حملقت روث في زوجها لبضع ثوان ثم خرجت وصفعت الباب خلفها متجهة الى غرفتها وهي تفكر كم هو قاس ولئيم. لقد حسبت بأنه لن يكتشف خدعتها ليتزوجها، لأنها كانت ساذجة بالنسبة الى العلاقات الزوجية. فهي لم تعرف أنه بامكانه اكتشاف عدم النوم معه أو مع أي رجل آخر..

وبالرغم من كل هذا فان روث لاتزال تحبه بكل جوارحها وتحزن لأنه لايعاملها برأفة وحنان. فهي محرومة من عطفه ومحبته وأخذت تبكي حتى غفت...

دهشت روث كيف يمكن للانسان ان يتكيف مع الظروف. فلو أن أحداً أخبرها بأنه يمكن لشخصين متزوجين ان يتشاركا في معيشتهما و يناما في غرفتين منفصلتين لما صدقت. أما الآن فكل شيء معقول.

كان سكان المنطقة ودودين معها جداً وبادلتهم هي الود والمحبة. ولكن كل هذا لايزال غير كاف ليحجب باتريك عن تفكيرها بالرغم من قلة انفرادها به. فهو يذهب للعمل في الساعة السادسة صباحاً ما عدا يوم الاحد. ويعود في الساعة الثانية بعد الظهر حيث يرتاح لمدة ساعتين ثم يأخذ دوشاً و يرتدي ملابسه ويذهب الى النادي ليسبح أو يلعب التنس ولقد اعتاد الناس على أن روث لاتصطحبه في هذه الاوقات لأنها تأتي الى النادي في الصباح عندما يكون هو في العمل.

أصبحت روث وبولين صديقتين حميمتين. كانتا تأتيان الى النادي في الصباح لتناول القهوة أو السباحة أو لتلعب التنس بعض الاحيان. وكذلك زوج بولين كان شاباً وسيماً ولطيفاً وكان صديقاً لروث وزوجها. ويعمل الساعات نفسها مثل باتريك، لذلك كان وقت الفراغ لدى روث وبولين متشابهاً وبامكانهما أن يستأنسا معاً. ولكن لابد أن بولين شعرت بتوتر العلاقة بين روث وباتريك لأن بولين تحدثها عن زوجها وعلاقتهما بينما تبقى روث صامتة. ولكنها لم تسألها أي شيء ولم تحدثها روث من تلقاء نفسها.

نجحت روث بادارة البيت وترتيبه. لقد صنعت المساند الملوّنة الجميلة لغرفة

الجلوس وقد كان باتريك يساعدها ببعض الحاجات من آن لآخر. وفي أحد الايام تأخرت المرأة التي تساعدها في تنظيف البيت. وقررت روث أن تنظم الخزانة التي تحتفظ فيها بالمعلبات. وبينما كانت تخرج العلب من الخزانة وجدت بعض الحشرات الصغيرة تسرح هناك وأخذت ترشها بالمبيدات وتنظف الخزانة حتى رأت عنكبوتاً أسود اللون. ارتعدت روث من الخوف. فهي لا تعرف ماذا تفعل به ولم تستطع ان تقتله فأغلقت الخزانة جيداً وجلست تراقبها حتى لا يخرج من الخزانة ولم تعرف ماذا تفعل؟ نظرت الى ساعتها واذ هي الواحدة بعد الظهر، وأدركت ان باتريك سيصل للغداء. ولكن فكرة بقائها في المطبخ كل هذا الوقت لتنتظر باتريك أرعبتها، ففكرت بأن تنسى ما في الخزانة وتبدأ بتحضير طعام الغداء لها ولزوجها. ولكنها لم تستطع. وأخذت تفكر، هل تذهب وتطلب مساعدة بولين، فهي تسكن قريباً من بيتها ولها خبرة أكثر منها. ولكن فكرة طلب مساعدة الآخرين أزعجتها. فهي ليست طفلة ويجب عليها أن تتعلم بنفسها، خاصة وأن بولين تعلم بأن باتريك سيحضر للبيت قريباً.

فهو يعود في الوقت الذي يأتي زوجها ولذلك فكرت روث أن تنتظر لحين عودة باتريك حيث سيساعدها. ومضت نصف ساعة ولاتزال روث تنتظر عودة باتريك وهي ترتعش، وتحاشت دخول المطبخ أو فتح باب الخزانة لئلا يخرج العنكبوت.

وأخيراً وصل باتريك وهي لاتزال تقف كالحائرة في غرفة الجلوس والعرق يتصبب منها لشدة الخوف. أدرك باتريك أن هناك شيئاً ما أخافها وظهرت على وجهه علامات الاهتمام والعطف وسألها:

«ماذا بك؟ هل حصل شيء؟»

هزت روث رأسها بالنفي ثم أجابت وقد جف حلقها:

«لم أهيء لك طعام الغداء».

«هل هذا ما جعلك تقطرين بالعرق؟ فهذا لايهم».

«أعلم ذلك، ولكن لم أستطع أن أعد الطعام لأن هناك عنكبوتاً في الخزانة».

«أي نوع من العناكب؟ هل لسعك؟»

وكانت روث لاتزال تهز رأسها بالنفي ثم أجابت:

«لا ولكنه أسود وكبير، لقد أخافني».

ولم ينبس باتريك بأي كلمة بل ذهب الى المطبخ، وقد سمعته يفتح باب الخزانة ثم سمعته يفتح الباب الخلفي ويخرج ليسحق المشرة، وشعرت بالغثيان ثم سمعت الباب يغلق ورأت باتريك يدخل اليها في غرفة الجلوس ويقول:

«لقد ذهب الآن».

«شكرا لله، أنا آسفة لأزعاجك».

«كان تصرفك سليماً لأن ذلك العنكبوت من النوع السام».

«هل تعني أنه يقتل انساناً...»

«لا، لا يقتل انساناً ولكنه يمرضه لعدة أيام».

«يا الهي، ياباتريك».

وكانت روث ترتجف من الخوف مما حدا بباتريك أن يسرع اليها ويضمها بين ذراعيه يهدىء من روعها ويقول لها:

«الحمد لله أنك لاتقابلين كل يوم سيده متشحة بالسواد حداداً على زوجها».

ولا تزال روث تحاول استعادة قوتها والعودة الى طبيعتها حتى شعرت بدفء مشاعر باتريك وأرادت أن تبقى بين ذراعيه. وعندما أدرك باتريك أنها عادت لطبيعتها انتزعها من بين ذراعيه وقال لها:

«أنت الآن بأمان. فباستطاعتك ان تذهبي وتعدي الغداء. وفي المستقبل أرجو ان تتركي هذه الاعمال للينا».

أحست روث بالحرمان بعد لحظات الوّد والعطف من باتريك.

كانت لينا لاتحب روث وعلمت روث بأنها فنزويلية ابنة أحد مراقبي الحفر الذين يعملون مع باتريك. وتسكن مع والدها وتعتني به وتعمل أحياناً في المستشفى في أوقات فراغها. أخبرتها بولين أيضا بأن والدة لينا توفيت عند ولادتها ووالدها هو الذي رباها. وفي أحد الايام عندما وصل باتريك الى

المدينة وخلصها من براثن عصابة ولذلك فهي متعلقة به وتحمل له هذا الجميل.
والآن وقد غدت فتاة يافعة في السابعة عشرة من عمرها فهي تتخيل أنها تحبه.

وبينما كانت روث وبولين تجلسان حول بركة السباحة في النادي تتحدثان قالت بولين:

«اتعرفين يا روث، ان الاطفال يصبحون مخلصين جداً اذا أظهر الانسان عطفه ومحبته لهم حتى أنهم أحياناً يصبحون غيورين. فخذي مثلا لينا انها تحب باتريك وتغار عليه ولسوء الحظ فان باتريك لايزال يعتقد بأنها طفلة».

أجابت روث وهي تضع بعض الكريم على جسمها ليساعدها على احتمال الحرارة:

«بالتأكيد ان هذه الفتاة لاتطيقني».

أجابتها بولين:

«لاتدعي هذه المسألة تقلقك أبداً. فهي لاتزال طفلة بالنسبة الى باتريك. أما أنت فانك كل شيء بالنسبة اليه. الناظر يعرف تواً كم أن باتريك يحبك ومتعلق بك عندما يلاحظ نظراته اليك».

«لماذا تقولين هذا؟»

«ألا تدرين، مسكين باتريك. فأنا أشفق عليه عندما ينظر اليك ويرى جون يحوم حولك فان الغيرة تكاد تقتله. ألم تلاحظي هذا؟»

«لاتكوني سخيفة يابولين».

«لا أمزح معك أبداً بل أقول الحق، فأنا لا أصدق عيني عندما أرى باتريك موِلها هكذا اذ لم يخطر لي أن يغرم باتريك بانسانة كما هو مغرم بك.»

تمنت روث أن يكون كلام بولين حقيقة. تمنت أن يكون باتريك بالفعل يحبها ويغار عليها ولكن لم تشعر بحبه وغيرته بل بغضبه وجفائه. وما صداقتها مع جون إلا لملء الفراغ ومعالجة الجراح الذي تركه جفاء باتريك لها.

يأتي جون الى النادي للسباحة في الصباح حيث تلتقي به ويتحدثان حديثا عابراً لاأكثر ولم يكن بنيتها أن تثير غيرة باتريك. ولكن هل هذا صحيح أنها

تثير غيرته، انها فكرة...أرادت روث أن تجرب اذا كان باتريك يغار عليها بالفعل. وبعد عشرة أيام من هذه الحادث، نهضت روث في الصباح بعد أن ذهب باتريك الى عمله في المصفاة. وبالتالي فلن تراه حتى الظهر. ففي العادة تنهض روث في الساعة الثامنة صباحاً، تشرب القهوة ثم ترتدي ملابسها حيث تأتي مانيللا ثم تؤدي أعمالها اليومية. ولكنها في الايام القليلة الماضية كانت روث تنهض منهكة القوى وبحاجة الى راحة أكثر واليوم أفاقت في الصباح وهي تشعر بصداع شديد على غير العادة حتى انها شعرت بالتعب عندما أرادت أن تعمل الشاي لنفسها وتساءلت اذا كان هذا الصداع من كثرة جلوسها في الشمس. ثم شعرت بالغثيان وتقيأت. تناولت روث حبتين من الاسبرين، وذهبت الى النادي حيث وعدت بولين ان تلتقيها في الساعة العاشرة صباحاً، ووصلت في وقت مبكر ففكرت روث بالجلوس في الظل حتى تأتي بولين.

وبعد عشر دقائق جاء جون هيوارد وجلس بجانبها قائلا:

«وأخيراً رأيتك وحدك. هل أطلب لك شيئاً؟ ليمونادة؟ أو قهوة؟»

«لا، لا شيء شكراً. هل ستسبح؟»

«ربما بعد قليل، هل ستسبحين؟»

كان جون ينظر اليها باعجاب وكان أحياناً يطيل النظر لكنها لم تشعر بأي شيء نحوه كما تشعر نحو باتريك. ثم أجابته:

«لا أدري اذا كنت سأسبح أم لا هذا يعتمد كيف أحس بعد قليل».

فسألها جون باهتمام:

«لماذا؟ ما هنالك؟»

«لا أدري، لقد شعرت بالتعب هذا الصباح».

«هل يعلم باتريك بهذا؟»

شعرت روث بالذنب لخديعتها اذ مازال جون يفكر أنها حامل فأجابته:

«لا ليس كما تفكر، انه فقط من حرارة الشمس على ما أعتقد؟»

«يجب أن تعتني بصحتك جيداً».

كان كلام جون مليئاً بالمودة والعطف والاهتمام أكثر مما يظهره باتريك لها ثم قالت له:

«انني على مايرام. ماذا تفعل هنا، أليس لديك عمل هذا اليوم؟»

«لا، فدوامي اليوم يبدأ بعد الظهر. هل ترغبين في أن اساعدك بعمل شيء ما؟».

«انك مخلص ولطيف ياجون».

كان رد فعل جون سريعاً وعفوياً، اذ أمسك يدها بين يديه الاثنتين وسألها:

«هل أنت حقاً سعيدة لوجودك هنا ياروث؟ انني أشعر أن باتريك لايحسن الاعتناء بك؟»

«يا الهي ياجون».

«هذا ما أشعر به في الواقع، فهو يمضي معظم أوقاته في المساء هنا في النادي بصحبة أصدقائه الشبان. وماذا عنك؟ متى يصطحبك الى أي مكان. أشعر بأنه لايهتم بمشاعرك كثيراً».

سحبت روث يدها بسرعة من بين يديه قائلة:

«أرجوك ياجون، لا تقل أي شيء آخر».

«أعلم أن هذا ليس من شأني، ولكن عندما رأيتك هذا الصباح مرهقة بادية الاعياء شعرت بأنك بحاجة الى الهواء الطلق، هل تقبلين دعوتي غدا الى شلالات القمر؟»

«شلالات القمر؟ يبدو لي اسماً رومانطيقياً».

«انها الشلالات التي على سفح تل في كوريليرا ماريدا، انها تبعد عن هنا مدة ساعتين بالسيارة. تقع في منطقة هادئة وادعة جميلة جداً تجري فيها الانهار التي تصب على علو خمسة وسبعين قدماً، انها من أجمل البقاع ولكن قلما يفكر الناس بزيارتها».

«أحب أن أزورها، ولكني لا أدري اذا كان باتريك سيوافق على ذلك».

«لا تخبريه».

أجابت روث بحزم:

«لا، لا أستطيع أن اخفي عنه ذلك».
وإذا بولين تظهر لتسمع الجملة الاخيرة فقالت:
«وتخفين ماذا. هل هناك شيء يحصل من ورائي؟»
أجابها جون:
«اقترح على روث زيارة شلالات القمر».
«فهمت. انها رائعة لقد زرتها مع بيتر مرتين. والطقس أيضا هناك لطيف. ليس حاراً كما هو هنا».
قال جو لروث:
«ألم يحرك ماقالته بولين عن الشلالات. فالقرار قرارك».
ونهض جون ليسبح. وبعد أن ذهب قالت بولين:
«ياه، أعتقد أن جون يكن لك الحب الكثير ياعزيزتي».
«أرجوك يا بولين لاتقولي هذا».
«ولكنه لم يظهر كل هذا الاهتمام لأي من الفتيات الأخريات».
«أفهم من كلامك أن الفتيات تجري خلفه؟»
«هذا صحيح، هل ستذهبين معه؟ أعني الى الشلالات؟»
«اذا وافق باتريك».
«اذن انسي الموضوع لأن باتريك لن يوافق ابداً».
«لماذا؟»
«لماذ؟ ألم تفهمي مامعنى أن تقضي اليوم كله بصحبة رجل آخر، رجل معجب بك لن يوافق لأنه سيعذب نفسه».
«أعتقد أنك تبالغين يابولين. لماذا يعترض على ذهابنا؟ انه لايهتم...»
وسكتت روث فجأة حيث أدركت ما أرادت قوله. وكذلك أحست بولين التي صاحت بها:
«ماذا بينكما أنتما الاثنان. انه واضح أن باتريك مولع بك ومع ذلك... آسفة انه ليس من اختصاصي ولكن...»

أرادت روث ان تخبرها بكل شيء. فلو أخبرتها سترتاح قليلاً لأنها ستزيل عن كاهلها بعض ما يؤرقها ولكنها فكرت بأن بورتوريكو مدينة صغيرة وكل الأخبار تنتشر بسرعة لاو ترغب في المزيد من المشاكل.

عادت روث الى البيت بعد الساعة الثانية عشرة تماماً. كانت مانيللا قد غادرت البيت، فخلا المكان لها. وهي لاتزال لاتشعر بالجوع لكنها صنعت لزوجها أكلة الكيكنوز التي يحبها وهي عبارة عن فطائر مقلية بالجبن، ثم اعدت بعض السلطة وذهبت الى غرفة الجلوس تنتظر مجيء باتريك.

كانت قد اتفقت مع جون لتخبره بقرارها بعد ظهر اليوم اذا أرادت الذهاب معه غداً. ومضى الوقت وهي بانتظار باتريك وأصبحت عصبية المزاج ونفد صبرها وأحست بسخفها لأنها سمحت لنفسها بأن تصدق ما قالته بولين حتى أنها أثرت على قرارها الذهاب مع جون. وأخذت تتساءل لماذا لاتذهب مع جون؟ فاذا كان باتريك يغار عليها فهذه مشكلته. وهي في أي حال حتى لو ذهبت مع جون فنيتها سليمة وبريئة. انها لاتضمر له سوى المشاعر الاخوية والاحترام حتى ولو كان هو معجباً بها.

كانت روث تقلي الكيكنوز عندما دخل باتريك وسمعته يرمي حقيبة أوراقه على المنضدة ثم ارتمى هو نفسه على الكرسي. واتجهت الى باب المطبخ لتلقي عليه نظرة اذ شعرت بشوق وحنين لرؤيته. كان منظره يدل على مدى تعبه وارهاقه، وكم ودّت لو تسرع اليه تواسيه وتزيل عنه همومه وتعبه. ولكنها قالت:

«طعامك جاهز تقريباً».

أجابها وهو يتناول سيكارة:

«حسناً».

«كيف كان يومك هذا؟»

«لا بأس به. وكيف كان يومك أنت؟»

«لا بأس أيضاً. هل لديك أعتراض اذا لم أكن في البيت غداً لأحضر لك غداءك؟»

وشعرت بأنه يعرف الموضوع مسبقاً بسبب رده السريع حيث قال:

«لماذا؟»

«أنا مدعوة في نزهة يوم غد».

«حقاً؟ من دعاك؟»

فاحت رائحة التكنوز المقلية وأدركت روث بأن آخر دفعة منها لاتزال في المقلاة فأسرعت الى المطبخ ولحق بها باتريك قائلا:

«سألتك من الذي دعاك».

«أعرف أنك سألتني، ولكن هل يهمك من دعاني؟»

لاتزال رائحة الطعام تملأ خياشيمها حتى شعرت بالغثيان مرة اخرى عندما قال باتريك:

«من اجابتك الغامضة أظن أن جون هيوارد هو الذي دعاك».

«نعم وما المانع فيا لو دعاني؟»

وأخذ باتريك يدخن سيجارته بعصبية ثم قال:

«لماذا يدعو زوجتي لنزهة؟ أعتقد أنه يقابلك أحيانا في النادي ولابد أنك شجعته على هذا؟»

أجابت روث بحدة:

«لا، لم أفعل».

«اذن لماذا دعاك أنت ولم يدع بولين دزني مثلا؟»

كانت عيناه تشعان بالغضب. وردت عليه روث بحدة:

«ربما لأنه يشعر بأنك لاتوليني اهتمامك».

لم تر باتريك غاضبا كهذا اليوم من قبل فاجابها:

«بالطبع، وماذا أفهم أنا من هذا الكلام. هل شكوت اليه همومك ليعطف عليك؟»

«بالطبع لم أفعل هذا، فأنا لم أبحث علاقتنا مع أي انسان».

«نعود لسؤالنا اذن لماذا دعاك أنت بالذات؟»

«لأنه ... لأنه يحبني. كنت متعبة هذا الصباح وقال لي بأنني في حاجة الى الهواء النقي في الجبال».

«فهمت، بالطبع انه لايزال يفكر بأنك حامل. أليس كذلك؟ مسكين يجب أن اصحح معلوماته».

«كيف ستفعل ذلك؟»

«يجب ان افكر بطريقة ما، خاصة وان جون عازب ولا أدري اذا كان يعرف عن الاجهاض. بلا شك سوف أفكر بعذر أقوله له».

«انك لاتفوت أي فرصة، أليس كذلك؟»

«أفوّت فرصة لماذا؟»

«لتذلني».

«ظننت أنك اعتدت على ذلك بعد هذه المدة».

تناول باتريك طبق السلطة ثم التكنوز المحمرة وقال:

«ان منظرها يثير الشهيّة. هل لنا ان نتناول الطعام؟»

«لا أستطيع أن آكل شيئاً، كلامك يشعرني بالغثيان».

«كما تريدين، انني جائع، على فكرة يجب ان تعتذري للصديق هيوارد بأنك لاتستطيعين مرافقته غداً. أخبريه بأنني قررت أن اصطحبك الى الجبال بنفسي. أعتقد أنه ذكر لك شلالات القمر أليس كذلك؟»

نظر اليها باتريك وكانت ملامحها تنم عن التعب فتابع:

«لقد فكرت بهذا. سوف نقوم بهذه الرحلة في يوم آخر، ربما الاسبوع المقبل».

«واذا لم أرد أن اخيّب ظن جون، فماذا ستفعل؟»

«روث، أرجوك، لاتجبريني على التهديد والوعيد. أرجو ان تذهبي الآن وترتاحي قليلا في الفراش فمنظرك يدل على الانهاك».

ذهبت روث ولكن ليس الى غرفة النوم بل الى الحمام حيث شعرت بموجة الغثيان تعتريها بسرعة وأرادت أن تتقيأ. كانت جبهتها باردة واعتراها خوف شديد.

لم تشعر بباتريك الا عندما حملها ووضعها فوق السرير في غرفة النوم ونظرت اليه مناشدة اياه العطف والحنان ولكنه لم يشعر بنظراتها بل قال لها: «لم أعرف أنني أقدر حقاً ان اسبب لك الاعياء، ولكنني آسف لايمكن ان اوافق على ذهابك مع جون هيوارد وأعدك أنني سآخذك أنا بنفسي في أقرب فرصة تتاح لي».

كانت روث متمددة في الفراش كالعاجزة لاتستطيع أن تفعل شيئاً بل كانت تبكي شفقة على نفسها. وضعت يدها فوق رأسها وأخذت تحدق في السقف بينا انتابتها احاسيس غامضة بحدوث شيء ما. وكلما حاولت ابعاد الوساوس عن تفكيرها كانت تعاودها مجدداً.

لم تنتبه روث لما طرأ من تغيرات على جسمها منذ زواجها حتى أنها لم تهتم بالوقت والتاريخ، ولكنها الآن تنبهت لشيء ما من المفروض أن يحصل لها ولم يحصل. لاشك أن هناك شيئاً مهماً خاصة وأنه مضى خمسة أسابيع على وجودها في فنزويلا.

١١ ـ شلالات القمر

بعد اسبوع، تأكدت روث من أنها تعاني من عوارض الحمل، الدوار في الصباح وقلة الشهية للأطعمة التي اعتادت ان تحبها. فمن سخرية القدر أن الخدعة التي اخترعتها لتقنع باتريك بالزواج منها والتي كانت السبب في الخلاف بينهما تحققت وبدون علمه.

لم تفكر روث باخباره في الأسابيع الأولى، لأنها كانت خائفة ألا يصدقها بالرغم من كل هذه العوارض، فهي غير قادرة على تحمل سخريته كما انها حساسة لأي انتقاد. في البداية فكرت بأن تكتب لوالدها وتعلمه بأحوالها لكنها أبعدت هذه الفكرة عن خيالها لأنها أخبرت باتريك بأنها لا تود ازعاج والدها. فلو سمع بأنها تعاني من أعراض الحمل في هذا الجو وهذه المعاملة فلن يسرّ. بالرغم من حاجتها اليه لتفضي اليه بمكنونات صدرها، ولكن باتريك سيظّن أنها ضعيفة وجبانة ولن تدعه يظن ذلك. فهي التي ارتضت بالزواج منه بالرغم من كل ظروفه، وعليها أن تواصل حياتها معه بناء على القرار الذي اتخذته.

كانت روث أحياناً تجد الأعذار المبررة لنفسها لتحدث والدها عما جرى لها وذلك لأنها لم تتوقع أن تسوء العلاقة بينها وبين باتريك الى هذا الحد.

جون هيوارد يعرف بحالتها لأنه يظن أنها لاتزال حامل منذ ان وصلت وهو الشخص الوحيد الذي باستطاعتها ان ترتاح اليه ولن تحتاج أن تخفي عنه انتفاخ وسطها أو مرضها وما يعتريها من الدوار والتقيوء، حتى أنه باستطاعتها أن تنفث ما في صدرها اليه بدون خجل فهي تعرف أنه يحترمها و يشفق عليها من معاملة

باتريك لها.

وبعد ثلاثة أسابيع وفي أحد الأيام، بينما كانت روث جالسة بجانب بركة السباحة في النادي تتحدث مع جون وبولين دزني وبينما كانوا جميعاً منخرطين في محادثتهم، أتى اليهم باتريك من حيث لايدرون ثم قال:

«يا سلام، انها جلسة ممتعة، أليس كذلك؟»

كان باتريك مستهزئا حتى أن بولين فهمت مقصده، ثم نظرت الى روث وكأنها تقول لها ـ ألم أقل لك هذا ـ ثم نظرت الى باتريك وقالت له:

«هل غادرت العمل باكرا اليوم؟ لماذا؟ ماذا حصل؟»

جلس باتريك القرفصاء منحنيا الى بولين وابتسم قائلا:

«أليس من حقي أن آخذ اجازة أرتاح فيها بين الحين والآخر؟»

«أعتقد أنه من حقك، ولكن أخبرني متى ستدعونا الى بيتكما. لقد مضى شهر ان على وصول روث ولم تدعونا بعد حتى الى فنجان قهوة؟»

توردت وجنتا روث من الخجل لتعليقات بولين أما باتريك فأجابها:

«معكم حق في هذا، سوف ندعوكم قريباً ان شاء الله، ولكنك تعرفين كيف تسير الامور في بداية الحياة الزوجية».

سأله جون متحدياً:

«لا ياباتريك، لاأعرف كيف تسير الأمور عندما يتزوج الانسان، أرجو ان تخبرني».

أمسكت روث أنفاسها من المفاجأة ثم سمعت باتريك يجيب:

«ستكتشف ذلك بنفسك يوماً ما».

نهض جون وأخذ يتطلع الى روث بنظرات ذات معنى ثم قال:

«يبدو لي أن الزواج ترتيب يتمّ من طرف واحد أو على الاقل هكذا يعتقد بعض الناس. أما أنا شخصياً فاذا كنت متزوجاً من فتاة مثل روث فلن أترك فرصة تفوتني بدون أن أعبّر فيها كم أنا محظوظ بالزواج منها».

وقف باتريك أمامه وردّ عليه بجفاء:

«ولكنك غير متزوج من روث ياجون، أليس كذلك؟ وسأكون شاكراً لو تتذكر هذا».

استشاط جون غضباً وقال له:

«ماذا تعني بكلامك؟»

ارتبكت روث ونهضت مناشدة جون:

«أرجوك ياجون أن تتركه وشأنه».

فقال باتريك:

«هل لاحظت أن زوجتي ترجوك ولم ترجوني».

«ربما لأن لها خبرة سيئة برجائها منك».

«أو ربما أنها أدركت بأنك-أنت المخطىء في هذا الموقف».

وقفت بولين وصاحت بهما الاثنين:

«يالها من سخافة. انكما رجلان عاقلان وتتشاجران كالاطفال. جون، أود كأسا من العصير، أرجو ان تجلبها لي وكفاكما شجاراً».

أمسك باتريك برسغ روث وقال بحزم لامجال فيه للمناقشة:

«سأصطحب زوجتي في رحلة الى شلالات القمر».

تطلعت اليه روث بدهشة قائلة:

«لم أعرف هذا».

«أردتها أن تكون مفاجأة».

ثم حمل حقيبتها وسألها:

«هل هذه الحقيبة هي كل ما معك فقط؟»

«آ، آه، نعم».

ثم أدارت وجهها للآخرين وودعتهما قائلة:

«الى اللقاء قريبا».

أجابها جون الذي مازالت عيناه تحدقان فيها:

«أرجو أن تعتني بنفسك».

ذهبا الى البيت حيث غيرت روث ملابسها فارتدت سروالاً وبلوزه فضفاضة من القطن ضيقة عند الخصر قال باتريك بينما كانت روث تصعد الى السيارة الكبيرة:

«أحضرت بعض الشطائر من النادي لأننا ذاهبان في نزهة».

هزت روث رأسها مجيبة:

«هذا لطف منك».

تعلمت روث من تجربتها مع باتريك بأنها لايمكنها أن تتفوق عليه في أية مناقشة وبما أنه حاول نسيان ماحصل في النادي هذا الصباح كذلك يجب أن تفعل هي. ان آخر شيء تفكر فيه هو افساد متعة الرحلة الأولى التي يخرجان فيها معا منذ وصولها الى فنزويللا.

كانت الطريق الجبلية وعرة في بعض المناطق حتى أن روث كانت تتمسك بمقعدها برغم قيادة باتريك الهادئة، لكنه لم يستطع أن يتحاشى الحفر، الا اذا خرج بعجلات سيارته عن الطريق العام وهذا ما فعله أحياناً مع خطورته، وكان يشرح لورث عن كل ما يصادفهما في الطريق من أماكن ونباتات وروث تستمع اليه بشغف. شاهدا بحيرة مراكيبو كالطبق الموضوع على مائدة الارض والحفّارات تحيط بشواطيء البحيرة وكذلك رأت روث مساكن العاملين في النفط في هذا الموقع وبعض رقاع الأرض الخضراء ثم الغابات الماطرة التي لم تجدها روث ممتعة كما توقعت.

كان الهواء يبرد كلما اتجها الى الاعلى الى الكوريليراس وأدركت روث أنهما في منطقة عالية جداً من جبال الانديز، فبامكانهما مشاهدة منظر عام للبحيرة وما حولها.

وصلا الى قرية صغيرة في الجبل حيث وقف قطيع من الماعز يراقب الطريق ولدهشة روث أوقف باتريك السيارة بين مجموعة من البيوت القروية ونزل من السيارة فسألته:

«الى أين أنت ذاهب؟»

«لن اتأخر انتظري قليلا».

بدأت روث تشعر بالتعب أثناء مرورها في الطريق الوعر عبر الجبال وشعرت ببعض الألم في ظهرها. انخفضت درجة الحرارة قليلا في أعالي الجبال وهبّ النسيم محركاً أوراق الشجر المتساقط في الساحة القريبة حيث تجمعت بعض النسوة يرتدين الملابس السوداء و يراقبن السيدة الانكليزية الشقراء.

ارتاحت روث لعودة باتريك لكنها فوجئت برؤية حصانين خلفه يقودهما فلاح فنزويلي له شاربان كثيفان. جاء باتريك اليها مبتسماً وقال:

«هيّا انزلي من السيارة، سوف نركب الجياد الى الشلالات. فالمسافة ليست بعيدة من هنا ومن الممكن أنها أسهل من طريق السيارات. على الاقل ركوب الخيل يساعدنا للوصول الى القمة وليس فقط عند سفح المنحدر».

ارتعدت روث من شدة الالم. وهابت أن تركب الجواد وهي في هذه الحالة وتمنت لو أنه باستطاعتها الجلوس في المقعد الخلفي للسيارة. ولكنها عندما تطلعت الى وجه باتريك وشاهدت نظراته وتعابير وجهه التي بدت تماماً كما كانت يوم وصلت بورتوريكو لأول يوم وقبل أن يكتشف خدعتها. لقد رتّب أمر هذين الجوادين مسبقاً حيث يعلم أنها تحب ركوب الخيل ولم يعلم أنها حامل ولذلك لم تقدر روث أن تخيّب ظنه وتفسد عليه بهجة اليوم.

نزلت روث من السيارة بعد أن تناولت قبعة القش من المقعد الخلفي للسيارة، ووضعتها على رأسها، ثم سألته:

«أيّ حصان سأركب؟»

أظهرت روث سرورها وتقديرها لمحاولة باتريك اسعادها.

وبالرغم من آلامها، استمتعت روث بالرحلة الى شلالات القمر. كان الحصان الذي اختاره باتريك لها مروض جيداً وخطواته ثابتة بعكس حيوانات الجبل.

تبعا طريقاً محفوراً عند السفح كانت الساعة تقترب من الواحدة بعد الظهر عندما بدأ سماع انحدار المياه مما يؤكد أنهما على مقربة من الشلالات. وكلما

اقتربا من الشلالات ازداد خرير الماء، وتراءت لهما الشلالات بمنظرها الباهر تنحدر بين الصخور الرمادية في الكوريليراس.

كانت الجبال الشامخة حولها تمتد بنظام بديع بجانب بعضها البعض تعانق السماء حتى أن المرء لايفرق بين الانسان والحيوان من هذا العلو الشاهق.

أخذت روث ترتجف لرؤيتها طيف سلسلة الجبال الشاهقة وكأنها تحجب عنها النور. وسرت عندما تابع باتريك السير ليصلا الى منطقة جميلة تظللها بعض الاشجار الخضراء وتطل على الوادي حيث تنحدر الشلالات البديعة، وكذلك كانت الاصوات أقل صخباً من المكان السابق، حيث يتاح لهما فرصة الحديث بهدوء.

ترجلت روث عن الحصان وتمددت على العشب الناعم، بينما أنزل باتريك سلة الطعام. ولكن روث كانت لاتزال تشعر بالتوعك وفقدان الشهية. فتح باتريك السلة وأخذ يخرج محتوياتها. كانت مملوءة بشطائر الدجاج البارد والبطاطا والسلطة وبعض الجبن والفواكه ثم سألها:

«ماذا ترغبين من الشطائر؟»

«لا شيء الآن، شكراً».

أدارت روث وجهها حتى لايرى باتريك ملامح الأسى والتعب البادية عليها. مضت لحظات وقد خيم الصمت عليهما، ثم سمعت روث حركة بجانبها والتفتت لترى باتريك يقترب منها ويقول لها:

«آسف لأنني كنت قاسيا هذا الصباح في النادي».

اندهشت روث لتصرفه هذا، وحاولت أن تبدو طبيعية، فأجابته:

«انسى ما حصل».

«هل صحيح أنك ستنسين ماحصل؟»

«وهل هذا مهم؟»

اقترب باتريك وهو ينظر اليها بشغف محاولا جذب اهتمامها له ثم قال:

«نعم هذا يهمني».

فكّرت روث هل هذا نوع من الاعتذار؟ أم محاولة لتجعلها تلين ثم ينتقدها ويذلها. فاكتفت بأن هزت كتفيها وأدارت وجهها نحو شلالات المياه. ولكن باتريك أمسك كتفيها بحنان فأدارت وجهها اليه ونظرت في عينيه ولم تستطع أن تكذب نفسها، فمشاعره كانت واضحة، ولم تستطع روث أن تقاوم نظرات المحبة والوله، وحاولت أن تعبّر له عن محبتها عندما انتابتها موجة من الألم الحاد وبدأت ترتجف وشحبت وجنتاها وبدأ العرق يتصبب من جبهتها.

أدرك باتريك أن هناك ما أصابها. وأخذ يرفع الشعر عن جبهتها بعطف وحنان ويجفف العرق المتصبب من وجهها. ثم ناداها:

«روث؟ ما الامر؟ أرجوك لاتخافي مني».

أدارت روث وجهها اليه والألم يعتصرها وقالت له:

«لست خائفة منك ـ آه!»

ولم تستطع أن تتم كلمتها، حيث انتابتها موجة جديدة من المغص الشديد، وأحست أنها ستغيب عن الوعي. وحاولت جاهدة أن تسيطر على نفسها، وأخذت تضع يديها على بطنها لتهدىء الألم. أمسك باتريك احدى يديها بقوة محاولا أن يمدها بالقوة وهو يناديها بقلق:

«روث، بالله عليك، ما هنالك؟»

«انني... انني... آه ياباتريك... أرجو أن تسندني. امسك بي أرجوك، لاتدعني أغيب...»

وغابت عن الوجود.

كانت تفتح عينيها بين الفينة والفينة لترى نفسها مستندة الى باتريك وتركب معه حصانه بينما كانا عائدين الى حيث ترك باتريك سيارته. كان باتريك ممسكا بها بشدة وأمان باعثاً فيها كل حنانه ومحبته. ولكن روث لم تستطع الكلام بينما كانت موجات الألم تعاودها. أدركت روث ماحصل وأن هذه عوارض الاجهاض. وحزنت حزناً شديداً وتدافعت الدموع الى عينيها بأسى.

قاد باتريك السيارة بسرعة لينقلها الى المستشفى. وكان ينظر اليها بين

الحين والآخر ليطمئن عليها وقد رأت روث وجهه المكفهر من القلق والخوف عليها. وكم ودت أن تشرح له السبب حتى لايلوم نفسه لكن قواها خانتها ولم تستطع الكلام.

بدت رحلة العودة طويلة جداً. وأفاقت روث وهي في مكان غريب محاطة بجدران بيضاء خالتها تقترب اليها. كانت محمولة على النقالة والمخدر بدأ تأثيره عليها، اذ أعطوها الحقنة ثم لم تعد تميّز شيئاً...

وعندما فتحت عينيها، كان الظلام مخيماً على الغرفة ما عدا ضوء صغير ينبعث من مصباح بجانب فراشها. لم تقدر روث أن تستعيد الاحداث في البداية ولكن موجة من الاسى اعترتها عندما تذكرت بأنها فقدت طفل باتريك. وسالت الدموع ساخنة على وجنتيها وأخذت تتحسس بطنها بيديها وشعرت بالحزن المشوب بالالم. وبالرغم من معاملة باتريك لها فقد أرادت أن تحتفظ بالطفل. كان أملها ورمز محبتها لباتريك. على خدعتها هذه أيضا.

فتح الباب ودخلت ممرضة فنزويلية وسارت نحو فراشها لترى اذا كانت روث مستيقظة أم لا.

تناولت منديلا من الورق وأخذت تجفف دموع روث التي سالت على خديها قائلة:

«لا تنزعجي ياسيدة هاردي. هذه الحوادث كثيراً ما تحصل في العادة. فيجب أن تنسي الموضوع وتبدأي من جديد».

أجابتها روث وهي تتنفس بصعوبة:

«أجهضت الطفل، أليس كذلك؟»

أمسكت الممرضة رأس روث بحنان وقالت:

«ها أنت تعلمين ماحصل».

هزت روث رأسها بالايجاب ثم سألتها الممرضة:

«ما الذي دعاك لأن تذهبي في نزهة كهذه الى الجبال وأنت في هذه الحال؟»

هزت روث كتفيها قائلة:

«لم اشأ ان أخيب ظن زوجي».

«ولكن كان عليه أن يدرك احتمال ماسيصيبك...»

أجابتها روث ببساطة:

«لم يعرف بحالتي، فلم أخبره بعد».

صاحت الممرضة بدهشة:

«ماذا؟ لم تخبريه، لم لا؟»

هزت روث رأسها وقالت:

«ايه، انها قصة طويلة».

أجابتها الممرضة بهزة من رأسها وكأنها فهمت ما عنته روث، ثم تناولت مقياس الحرارة ووضعته تحت لسان روث وأمسكت رسغها لتقيس النبض. وعندما سحبت مقياس الحرارة من فم روث قالت:

«حسناً، كيف تشعرين؟»

رفعت روث شعرها عن جبينها ثم أجابت:

«لا بأس. كم عليّ أن أبقى هنا؟»

ردت عليها الممرضة:

«لن تبقي طويلا، على الاكثر يومين أو ثلاثة الامر يتوقف على اقتناع الطبيب الدكتور غونزاليس بصحتك».

سألتها روث:

«يظهر أنني أضعت ساعتي. كم الوقت الآن؟»

أشارت الممرضة الى المنضدة الصغيرة بجانب سرير روث وقالت:

«ساعتك هنا، والساعة الآن تجاوزت منتصف الليل».

أجابت روث متسائلة:

«منتصف الليل، يا الهي كيف مضى الوقت؟»

أجابتها الممرضة متعاطفة:

«كنت مخدرة وقتاً طويلاً بعد خروجك من غرفة العمليات».

سألتها روث مندهشة:

«غرفة العمليات؟ كنت في غرفة العمليات؟ وأين زوجي باتريك؟»

أجابتها الممرضة بهدوء:

«أعتقد انه عاد الى البيت. مسكين زوجك كان مرهقاً جداً وقد طلب منه الطبيب أنْ يعود الى البيت حيث ظن أنك ستنامين حتى الصباح. أظن أنه بقي هنا للساعة العاشرة والنصف».

«هل كان غاضباً جداً؟»

تعجبت الممرضة لسؤال روث وسألتها:

«لماذا يغضب؟ أعتقد أنه كان مصدوماً بهذا الحادث».

شعرت روث بالأسى ثم قالت:

«وهل بقي هنا كل هذا الوقت؟»

«نعم، الا عندما دخلت الى غرفة العمليات حيث طلب اليه الدكتور غونزاليس ان يذهب الى النادي لبعض الوقت ليتناول فنجاناً من القهوة لأنه كان في حال سيئة لايحسد عليها».

تململت روث في الفراش قائلة:

«أتمنى لو أنني لم أظهر أي رغبة للذهاب الى شلالات القمر».

أجابتها الممرضة وهي ترتب الغطاء حول روث:

«لاتفكري كثيراً. فهذه الحوادث عادية تحصل دوماً. هل أنت جائعة؟»

حدقت روث بها قليلا ثم أجابت:

«لا، لست جائعة».

فسألتها الممرضة ثانية:

«ألا ترغبين في بعض الشورباء أو ربما في فنجان من الشاي؟»

ترددت روث في الاجابة ثم قالت:

«هل لي بفنجان من الشاي اذن؟»

أجابتها الممرضة:

«حسناً، ارتاحي ريثما أحضره لك، لاتتقلقي فأنت لاتزالين صغيرة، وبامكانك الانجاب مرّات اخرى، وبعد أن رأيت زوجك فأنا متأكدة جداً مما أقول».

احمّرت وجنتا روث خجلا لتعليق الممرضة ولكنها ليس من السهل أن تكون متفائلة بعد الذي حدث، خاصة وأنها تشعر بأن باتريك لم يتزوجها لولا أنها كانت تحمل طفله، وكيف الآن وقد أجهضت هذا الطفل معتقداً بأنها تعمدت ذلك؟ وما أن فكرت روث بالاجهاض حتى تألمت لأنها أرادت هذا الطفل من أعماقها، أرادته بكل رغباتها....

أصرت الممرضة عليها لتتناول بعض الاقراص مع الشاي، وما أن شربت روث هذه الاقراص حتى أدركت أنها اقراص مهدئة، وارتاحت للامر لأنها كانت متعبة جداً وودت أن تنام لترتاح قليلا.

وفي الصباح بدا كل شيء مشرقاً. تذكرت روث زوجها باتريك وكيف بدا لطيفاً معها أثناء نزهتها الى الشلالات. ولكن لماذا كان لطيفاً؟ هل كان ذلك لغرض ما حتى اذا ماحققه تجاهلها...

نهضت روث من الفراش لتذهب الى الحمام. وشعرت بضعف ساقيها، ولم يعجبها القميص الاخضر القطني الذي ألبسوها اياه في المستشفى ليلة أمس. وتمنت لو أنها ترتدي شيئا آخر عندما يراها باتريك.

وبعد أن تناولت الفطور، جاء الطبيب في الساعة الثامنة صباحا ليزورها. كان رجلا جذابا، لم يبق معها طويلا وقد قال لها:

«باستطاعتك ان تخرجي من المستشفى خلال يومين. في الحقيقة يمكنك أن تنهضي من فراشك اليوم وتتمشي في الغرفة، فليس هناك حاجة للبقاء في السرير».

ابتسمت روث قائلة:

«أشكرك يادكتور على كل شيء».

«لاشكر على واجب، وأرجو منك في المستقبل أن تعتني بنفسك أكثر. ان صحتك جيدة ولا بأس عليك وسوف تنجبين أطفالا صحيين، فلا تغامري على حساب صحتك مرة اخرى».

أجابت روث بحرارة:

«لن اغامر بصحتي مرة اخرى».

وبعد ان ذهب الطبيب، استوت روث في السرير وقد وضعت الوسادة وراء ظهرها وأخذت تفكر. ياترى أين باتريك الآن، ولماذا لم يأت؟ ومن المؤكد أنه لن يذهب الى عمله هذا الصباح قبل أن يمر ليراها؟.

فتح باب الغرفة ونظرت اليه روث على أمل أن ترى باتريك قادما ليراها، وقد خاب ظنها عندما رأت ممرضة شابة تدخل اليها. كانت الممرضة لينا فورمنت. تذكرت روث ان بولين أخبرتها أن لينا تعمل هنا في وظيفة اضافية.

بادرت لينا بالتحية:

«صباح الخير أيتها السيدة».

اقتربت لينا من سرير روث وأخذت تحدق فيها بنظرات ثابتة وكأنها تلومها لما حصل ولكن روث أجابتها:

«صباح الخير يالينا. كدت أنسى أنك تعملين هنا».

كانت لينا تبدو هادئة وطبيعية وهي تضع غطاء رأسها كممرضة غير ان عينيها بدتا لامعتين ثم قالت لها ببرود:

«لماذا لاتعودين الى بلدك ياسيدة، فليس لك أي علاقة مع باتريك بعد اليوم».

شهقت روث من هول المفاجأة ثم قالت:

«عفواً ياآنسة، ماذا تقولين؟»

«أقول لك لماذا لاتعودين الى بيتك في انكلترا؟ أعلمني باتريك بأنه تزوجك فقط لأنك كنت تحملين طفله. أما الآن وبعد أن توفي الطفل، فماذا تنتظرين؟»

لم تصدق روث أذنيها فسألتها ثانية:

«هل أخبرك باتريك بكل هذا؟»

أجابتها:

«بأنك حامل؟ بالطبع. فهمت ذلك لأنه قضى ستة أسابيع في انكلترا، ولاتنسي أنه

رجل ومن الطبيعي أن...»

صاحت روث غاضبة:

«اخرجي من هنا. اخرجي من هذه الغرفة حالاً».

أجابتها لينا وهي تبتسم:

«واذا لم أخرج فماذا تفعلين؟ هل ستخرجينني بالقوة؟ لاأعتقد ذلك. فأنت مريضة ولاتقوين على عمل كهذا. أليس كذلك ياسيدة؟»

ظلت روث تصيح بها:

«أقول لك أخرجي حالا».

ولكن روث كانت ضعيفة ومتمددة في السرير ولاتقوى على النهوض. لم تتركها لينا وشأنها، وما هي الا لحظات حتى دخلت كبيرة الممرضات لتستطلع أمر هذا الصراخ، فرأت لينا أمامها فقالت لها:

«ماذا تفعلين هنا يا آنسة فورمنت؟ انك تعلمين أنه لايجوز لك أن تزوري المرضى بلا اذن».

أجابتها لينا وهي تتجه نحو الباب:

«كنت على وشك الخروج أيتها الرئيسة».

خرجت لينا بدون أن تنظر خلفها لترى روث التي كانت ترتجف من الغضب. فجاءت اليها الممرضة تستكشف منها ما حدث، وقد بدت قلقة عليها ثم سألتها:

«ما الامر ياسيدة؟ ماذا قالت لك الآنسة فورمنت لتزعجك هكذا؟»

هزت روث رأسها ببطىء وقالت:

«لاشيء، لاشيء ولكنني لا اريدها أن تأتي لهذه الغرفة أبداً. لا اريد ان اراها».

فردت عليها الممرضة تطمئنها:

«بالطبع لن أدعها تدخل هنا ثانية. سأخبر الدكتور غونزاليس عنها».

فردت عليها روث بحزم لأنها لاتريد أن تسبب لها أي مشكلة:

«لا، لا، لاتخبري أحداً بذلك أرجوك، فكل ما هنالك انني لااريد رؤيتها ثانية».

ابتسمت لها الممرضة قائلة:

«حسناً ياسيدة، لك ماتطلبين. ولكن أرجو أن تستريحي الآن ولاتغضبي نفسك ثانية».

استكانت روث بهدوء لطلبات الممرضة التي ترعاها ثم سألتها:

«ألم يأت زوجي بعد؟»

أجابتها الممرضة:

«لا لم يأت، فلا يزال الوقت باكراً».

حدّقت روث بالممرضة وكأنها تستجديها:

«انها العاشرة».

وكأن الممرضة فهمت قصدها:

«سأسأل عنه الآن. لاتزعجي نفسك. انني متأكدة أنه سيأتي، لاتخافي».

وما أن خرجت الممرضة من الغرفة حتى بدأت الشكوك تساور روث. وفكّرت لو أن كل شيء على مايرام لأتى باتريك قبل هذه الساعة ليراها، ولكن ماذا هناك؟ ثم تذكرت ما قالته لها لينا وانتابتها موجة من الحزن والألم، لأنها اعتقدت بأن جون هو الشخص الوحيد الذي يعلم بأمر حملها قبل الزواج. ولم تصدق أنه من الممكن لفتاة مثل لينا ان تجذب انتباه زوجها باتريك. فهو ليس من النوع الذي يستغل فتاة في السابعة عشرة من عمرها ولا شك أن الغيرة هي التي حملت لينا على فعلتها هذه.

تناولت روث وجبة الغداء التي كانت من الخضار المقلية بالسمن وعليها بعض أنواع البهارات التي لم تستسغها روث. لم يأت باتريك بعد واعتقدت بأنه لابدّ ذهب الى العمل في المصفاة وسيأتي عندما ينتهي عمله بعد الظهر. وفكرت بأنه غاضب عليها لأنها خدعته مرّة اخرى. والغضب في هذه الحال أقل الايمان.

دخلت الممرضة الى غرفة روث حوال الساعة الثالثة بعد الظهر وقالت لها:

«هناك زائر لك، هل أعينك لتستندي في السرير؟»

هزت روث رأسها بالايجاب دون ان تنطق بكلمة حيث كانت الدموع تلمع في عينيها. ومع أنها ظنت بأن الزائر باتريك، لكنها أبعدت هذه الفكرة وحدثت نفسها بأنها لابد أن تكون صديقتها بولين أو ربما جون، وعندما دخل الزائر الى الغرفة لم تستطع الحراك بك أخذت تحملق فيه بدهشة. ثم صاحت غير مصدقة عينيها:

«بابا، آه يابابا!»

اندفع والدها نحوها بشوق وأخذ يضمها ويقبلها وهي تجهش بالبكاء. وبعد أن هدأت أبعدها والدها عن صدره برفق ثم أخرج منديله وأخذ يجفف دموعها ثم قال لها:

«أهكذا تستقبلين والدك ياعزيزتي، ألا تستطيعين أن تبتسمي لي؟»

كانت روث لاتزال تتنهد، وسألته:

«كيف؟ ما الذي جاء بك الى هنا؟ وكيف عرفت أنني في المستشفى؟»

أجابها والدها:

«كيف تظنين أنني عرفت؟»

«هل أخبرك باتريك بذلك؟»

«بالطبع».

«ولكن، كيف ـ و ـ»

«اتصل بي باتريك ليلة أمس في الساعة الثامنة صباحاً بينما كنت نائماً».

«لماذا فعل ذلك؟»

«تناقشنا طويلا قبل مجيئي الى هنا، ثم دبرت أمر مجيئي باستئجار طائرة خاصة لتقلني بأسرع وقت الى هنا».

«طائرة خاصة».

«والفضل يعود الى صديقي دون هاملتون»

أجابت روث وقد انتابها اليأس فجأة:

«فهمت، ولكن ماذا قال لك باتريك؟»

أجابها والدها:

«كل شيء».

ارتعدت روث خوفاً ثم سألته:

«كل، كل شيء؟»

فرد عليها أبوها:

«نعم كل شيء، علمت كيف أقنعت باتريك ليتزوجك وماذا حصل بعد أن أكتشف خدعتك».

خبأت روث وجهها بيديها وصاحت مستنكرة:

«لا، آه لا».

أجابها والدها:

«لماذا لا، يجب أن أعلم ماذا تفعل ابنتي بحياتها. أليس هذا من حقي؟»

«ولكنك لاتعرف...»

«كيف تعولين هذا؟ فانني لم أحكم عليه بعد؟»

«أعرف، ولكن...»

هز السيد فاريل رأسه ثم قال:

«ما فعلته لاشيء بالنسبة لما فعله هو. ألم تدركي بأنك خاطرت بحياتك وحياة الطفل أيضاً؟»

وأومأت روث برأسها موافقة ثم قالت:

«أردت أن أرضي باتريك».

أجابها والدها بيأس:

«ولم تنجحي في ارضائه، أليس كذلك؟»

أجابته وهي ترنو اليه بنظرات استعطاف:

«لا، هل باتريك غاضب مني؟»

صاح والدها بغضب:

«باتريك، يا إلهي ألم تدركي ماحصل لك؟»

نظرت اليه والدموع في عينيها قائلة:

«بالطبع أعرف هذا!»

ولكن والدها كتم غيظه وقال:

«حسناً، حسناً سنترك مناقشة هذا الامر لحينه، والآن فأنا أتيت لأسألك ماذا تريدين أن تفعلي؟»

أجابته روث وقد اعتراها خوف ما:

«ماذا تقصد بسؤالك؟»

«بعد كل ماحصل لك، تحتاجين لبعض الوقت من الراحة والاستجمام لتستطيعي أن تقفي على قدميك».

«لماذا؟ لا أشعر بشيء البتة».

«جسدياً ربما لاشيء هناك، أوافقك. أما نفسياً فلا بد أن هناك شيء ما؟»

استندت روث الى الوسادة ثم قالت:

«لماذا تخبرني بكل هذا؟ لماذا جئت الى هنا فعلا؟ هل طلب اليك باتريك ذلك؟»

أجابها والدها بلا تركيز:

«هل هذا يهمّ؟ جئت لاصطحبك معي الى انكلترا».

حملقت روث في والدها مستنكرة:

«لا، ولكنك كنت في نيويورك...»

«في الواقع كنت في فيلادلفيا عندما وصلني الخبر فتركت كل شيء وجئت حالا. ولكننا سنعود الى بيتنا في انكلترا».

«هل ستعود من أجلي؟»

«اذا كان هذا لايعجبك فباستطاعتنا أن نذهب الى أيّ مكان آخر».

«ولكن باتريك...»

«افضل أن تتركي لي موضوع باتريك».

«لماذا؟ لماذا؟ ماذا قال لك؟»

«انه يوافقني على أنك بحاجة لفترة راحة بعيداً عن هنا».

«بابا، ولكنني زوجته».

تنهد والدها مهدئاً اياها:

«قلت لك بأن باتريك موافق».

ثم تابع حديثه:

«حسنا، حسناً لم يكن من السهل ما حصل. فبالرغم من الطريقة التي خدعته بها ليتزوجك ولكنه اعترف بأنه جاء تلك الليلة وفي نيته أن يغريك وربما فعل كما كان ينوي».

وأخذ و والدها يحدق فيها بأسى ثم تابع:

«ولكن مايهمني هو معاملته لك منذ زواجكما فانها لم تعجبني أبداً. فتصرفه كان لاانسانياً، وأنا أعلمته برأيي هذا»

صاحت روث مستنجدة:

«ياوالدي، لماذا فعلت هذا؟»

«كان عليّ أن اوقفه عند حده، لابد أن يدرك نتيجة فعلته. اصغي الي يابنيتي، سنذهب في رحلة الى اوروبا، الى اليونان مثلا فالطقس رائع في هذا الوقت من العام».

رفضت روث ما قاله والدها قائلة:

«لا اريد أن أعود الى انكلترا، ألا تعرف ان بيتي هنا، بجانب باتريك؟»

نهض والدها وقال:

«لايمكن أن أقبل ماتقولين».

تمسكت روث بالغطاء فوقها وقالت بحزم:

«أريد أن أرى باتريك. لماذا لم يأت؟»

هز والدها رأسه مستعطفاً:

«روث اذا كان لي عندك مودة أرجو أن تطيعيني».

فدنت اليه يائسة:

«لماذا تطلب مني هذا، لماذا؟»

«لأنني أعتقد بأنك أخطأت بزواجك من باتريك، واذا جئت معي الى انكلترا سأبرهن لك ذلك».

هزت روث رأسها نافية:

«رجائي عندك ياوالدي، دعني أرى باتريك الآن. اريده أن يأتي حالاً».

انحنى والدها وقبلها، وكانت نظراته تنم عن فشله في اقناعها بترك باتريك ثم خرج من الغرفة بدون أن ينبس بكلمة. أما روث فتمددت في فراشها واخذت تنتظر قدوم باتريك. حلّ الظلام ولم تسمع عن باتريك ولم يأت لزيارتها.

١٢ ـ أهلا بالحب

لم تتمكن روث من الاخلاد الى النوم بقيت تتقلب في سرير المستشفى الضيّق والعرق يتصبب من جسمها. وحلمت بباتريك ولينا الفتاة الفنزويلية، أحلاماً مزعجة أرّقت مضجعها. استيقظت روث في الساعة الثالثة وقلبها يخفق بشدة من الخوف. خافت أن تكون علاقة باتريك بلينا أكثر من علاقة صداقة؟ وبدون وعي منها قفزت عن السرير وارتدت فستاناً من قماش المنشفة اعطيت لها عندما ذهبت الى الحمام. ثم فتحت الباب وأخذت تنظر الى الممر الطويل. لم يكن هناك سوى مصباح واحد مضاء على مكتب الممرضة المناوبة تلك الليلة. انتظرت روث بضع دقائق ثم ركزت انتباهها على الجهة المقابلة. كانت غرفتها في الطابق الارضي في نهاية الممر وبجانبها النافذة الزجاجية. فكّرت روث بأنه لو كان بامكانها الوصول الى النافذة لفتحتها وهربت. وكأن أبواب السماء كانت مفتوحة لحظة تمنت روث هذا. فما هي سوى لحظات حتى نهضت الممرضة عن مقعدها وسارت باتجاه عنبر المرضى المجاور لتتفقد أحوالهم. وما أن رأتها روث تدخل الى العنبر حتى أسرعت الى النافذة وقفزت الى الخارج ثم أغلقتها وراءها. اصطدمت قدماها بسطح خشن تحت النافذة ثم تفقدت الطريق قبل أن تسير حول البناية لتذهب الى الطريق.

كانت روث تعرف بأن المستشفى لايبعد عن بيت باتريك. فكثيراً ماشاهدته في طريقها الى النادي. ومع أنها شاهدته أثناء النهار فلم تعتقد أنه من

الصعب التعرّف الى البيت الآن. كانت تسير فوق الحجارة في الطريق التي أدمت قدميها، ولكنها لم تهتم فكل اهتامها أن تصل الى البيت لترى باتريك وتعرف لماذا لم يأت لزيارتها في المستشفى.

فوجئت روث عندما وجدت النور ينبعث من غرفة الجلوس وخطر ببالها أنه من الممكن ان يكون والدها هناك بالرغم مما أخبرها عن باتريك، ربما قبل دعوته للبقاء في البيت. سارت على رؤوس أصابعها في الممرحتى وصلت الباب حيث لم تسمع أي صوت من الداخل. واعتقدت أنه حتى لو كان في البيت فلا بد أنه نائم في فراشه.

حاولت روث معالجة الباب لفتحه وأخيرا تمكنت من فتح الباب الخارجي، ثم فتحت الباب الداخلي لترى باتريك جالسا في الاريكة وقد اتكأ بذراعيه على ساقيه وأحنى رأسه بيأس وألم. فنادته بهمس:

«باتريك».

حملق باتريك بها مندهشاً وقفز من مكانه صائحاً:

«روث؟ ماذا تفعلين هنا؟»

«أتيت لأراك، لأنك لم تأت لتراني».

ثم أمسكها بين ذراعيه بعطف وحنان وأخذ يناديها غير مصدق عينيه:

«روث، روث، يا إلهي كم أنا سعيد لقدومك، هل هذا يعني أنك لن تهجريني؟»

أجابته روث متعجبة:

«من قال لك بأني سأهجرك؟»

ولم ينتظر باتريك الرد بل شدها اليه بقوة، ثم أدرك أنها حافية القدمين فسألها متأثراً:

«هل سرت حافية كل الطريق؟»

أجابته وقد اطمأنت الى حبه وحنانه:

«لم أجد أحداً يحملني اليك. هل اقدر أن أبقى معك؟»

أجابها باتريك بسرعة:

«وهل تعتقدين أنني سأتركك تذهبين؟ دعيني أغسل قدميك!»

ثم حملها ليجلسها على الاريكة ريثما يحضر الماء الحارّ ليغسل لها قدميها. ثم بلل الاسفنجة بالماء ودعك قدميها بدون ان يتطلّع الى وجهها لأنه لا يستطيع ان يقاوم جاذبيتها وتأثيرها عليه. وعندما انتهى، نهض باتريك وأبعد وعاء الماء عن طريقه وأخذ ينظر الى روث بولهة ومحبة. تمنت روث لو ارتدت شيئاً أكثر اناقة من هذا الفستان المنشفة. جلس باتريك قربها ممسكاً بيديها ثم قال:

«والآن هل لك ان تخبريني ما الذي جاء بك الى هذه الليلة؟»

أجابته روث بسؤال آخر وهي ترتعد:

«لماذا لم تأت لتراني؟»

أحنى باتريك رأسه وهو ينظر الى يديها ثم قال بمرارة:

«ألم يخبرك والدك كل شيء؟»

«يخبرني؟ يخبرني ماذا؟»

تنهد باتريك ثم قال:

«لم أعد محبوباً لدى والدك الآن. انه يحتقرني، ولكن صدقيني ليس بالقدر الذي أحتقر به نفسي».

فصاحت روث مشفقة عليه:

«آه باتريك!»

«انها الحقيقة ياروث، يا الهي، لا أستطيع أن أشرح لك مقدار ألمي. أرجو أن تسامحيني على كل مافعلته».

«أنا، اسامحك؟»

«بالطبع. أرجوك ان تسامحيني لمعاملتي القاسية لك الشهرين الماضيين. جعلت حياتك جحيماً لايطاق، حتى أنك لم تقدري أن تبوحي لي بحالتك. أنا زوجك ووالد الطفل الذي كنت تحملين. يا الهي عندما افكّر كم كنت قاسيا وأعمى».

أجابته روث بأسى:

«ولكنني... ولكنني خدعتك لتتزوجني!»

أحنى باتريك رأسه وتناول يدها وقبلها قائلا:
«عزيزتي روث، لو لم أرغب بالزواج منك فلن يستطيع أحد أن يجبرني».
«ولكن، ولكن ماذا عن...»
«هل تقصدين الطفل؟ انا لست الرجل الأول الذي يترك طفله، فما من شيء يجبرني أو يؤكد أني أنا الأب».
هزت روث رأسها وسألته بخجل:
«ولكن لماذا غضبت عندما اكتشفت بأنني عذراء؟»
«غضبت لأنك خدعتني، لايوجد رجل في العالم يقبل ان يكون مخدوعاً، ولذلك قررت أن أعاقبك على خدعتك، وكانت هذه الفكرة سخيفة وأنانية، خاصة وأنه لم يخطر ببالي أنك ستحملين بهذه السرعة؟»
صمت باتريك قليلا وهو لايزال ممسكاً بيديها وينظر اليها ثم تابع:
«هل أخبرتك من قبل كم أنت جميلة؟»
سحبت روث يديها من يديه ووضعتهما على قدميها، أما باتريك فتابع كلامه:
«في الأمس أردت أن افاجئك برحلة الى شلالات القمر، لأبين مدى حبي واحترامي لك. وعندما أتيت الى النادي لأزف اليك الخبر ورأيت جون يجلس معك، كدت أفقد صوابي وأضربه، فالغيرة تكاد تقتلني عندما أراه يحوم حولك، وخفت أن أفقدك، وفكرت بأنني عاجلا أم آجلا يجب أن أبيّن لك حقيقة مشاعري نحوك، فلم أعد أطيق هجرك. وكم كانت الصدمة مؤلمة وقاسية عندما سقطت صريعة المرض في اللحظة التي وددت أن اصارحك فيها بمشاعري فلم أستطع الى ذلك سبيلا، خاصة وأني لا أدري ماذا جرى لك، وما سبب مرضك».
فقالت روث بحنان مشفقة على حالته:
«آه ياباتريك».
ثم تابع باتريك كلامه:
«في أي حال، أخذتك الى المستشفى ولم تكن لدي أدنى فكرة عما جرى لك.

فكرت أنه من الممكن أن يكون التهاب الزائدة الدودية أو ما شابهه، وعندما طلب الدكتور غونزاليس أن أذهب الى النادي تخيلت الموت أمامي، وصلت النادي لأجد جون هيوارد جالساً هناك فناديته. جون؟ علي أن أنفث ما في صدري لأحد ما، وهو الموجود أمامي. فشرحت له ما حصل. ثم أخبرني هو بأنها ممكن أن تكون حالة اجهاض.»

أمسك باتريك يدها ورفعها اليه معاتباً روث:

«جون يعرف أنك حامل وأنا لا».

أجابته روث:

«لأنك انت الذي أخبرته».

«هل تعنين أنه لا يزال يعتقد أنك حامل منذ وصولك؟»

«بالطبع».

«يا الهي لماذا لم يخطر ببالي هذا؟»

هز باتريك رأسه ثم تابع قائلا:

«ثم عدت الى المستشفى وسألت عنك، أخبروني أنك في غرفة العمليات. يا الهي كيف مضى الوقت لحين خروجك. أخذت أذرع الغرفة جيئة وذهاباً حتى جاء اليّ الدكتور غونزاليس ليقول لي ان العملية انتهت وحالتك لابأس بها. هل تصدقين انني كنت على وشك أن أقبله من الفرحة».

لمست روث وجنته بحنان وقالت له:

«خفت أن تكون غاضباً».

«انك تعنين كل شيء لي، أنت حياتي».

استمعت اليه روث بشغف وهي سعيدة بعودتها ثم سألته:

«وهل اتصلت بوالدي حينئذ؟»

«نعم، انتظرت المكالمة طويلا ثم حصلت عليها في النادي. لقد جنّ جنونه عندما علم بالأمر، ولذلك أخبرته بكل شيء فاستشاط غضباً وقال أنني لا أستاهل اصبع قدمك وأنني أستاهل كل ماجرى لي لأنني ذهبت الى بيتكم بنية اغوائك، وأنه

لن يترك المجال لي مرة اخرى لأؤذيك أو اعذبك».

خافت روث ثم نادته:

«باتريك!»

«لم أعتب عليه وانا أتفهم وجهة نظره جيداً. فأنت ابنته الوحيدة ومدللته، وبالنسبة اليه كل ما تفعل ابنته صحيح، أما اذا حاولت أنا أن اضع شروطاً فسوف يلوث سمعتي ويلحق بي الاذى. وبالطبع بامكانه أن يفعل ذلك.»

سألته روث متعجبة:

«ألهذا السبب لم تأت الى المستشفى ثانية».

«هذا جزء من الأسباب، أما السبب الآخر فلانني شعرت قليلا بأن معه حق، وقررت أن اخبرك عن استعدادي لمنحك حريتك اذا أردت ذلك.»

بلعت روث ريقها بصعوبة ثم سألته:

«والآن ماذا تنوي؟»

نظر اليها باتريك بحب ثم حملها بين ذراعيه في حنان ومحبة ثم قال:

«كما تريدين!»

تمتمت روث قائلة:

«أريد أن أذهب الى الفراش من فضلك، وماذا عنك؟»

لم ينطق باتريك بكلمة بل تابع سيره الى غرفة النوم و روث بين ذراعيه. ودخلا الغرفة واغلقا الباب خلفهما.

وبعد أربعة أشهر كانت روث وباتريك مستلقيين على شاطىء أكابولكو في المكسيك يستمتعان بأشعة الشمس الحارة وقد أصبح لونهما برونزياً حيث استأجرا شقة تطل على البحر مباشرة. وكانا يقضيان معظم أوقاتهما في السباحة والاسترخاء تحت أشعة الشمس.

تململت روث ثم أدارت وجهها الى جهة باتريك وأخذت تتطلع اليه والسعادة تبدو على وجهها الهادىء ثم سألت:

«هل أنت نائم؟»

فتح باتريك عينيه بعد أن رفع نظاراته الى أعلى رأسه وقال:
«لا. لست نائماً. هل تريدين أن تقولي شيئا؟»
فقالت:
«أود أن أتحدث اليك».
أدار باتريك وجهه نحوها ثم طلب اليها ان تتابع حديثها. تنهدت روث بفرح ثم صمتت قليلا وكأنها خجلة. فقال لها باتريك:
«ظننتك تريدين التحدث معي، فماذا أردت أن تقولي؟»
نهضت روث لتجلس واضعة ذراعيها حول ركبتيها قائلة:
«سأخبرك شيئاً، هم... م... م؟ أعتقد أنني حامل!»
قفز باتريك بسرعة الى وضع جلوس ثم سألها مستفسراً:
«هل أنت متأكدة من هذا؟»
«نعم هل لديك مانع أن أكون حاملاً؟»
«لدي مانع، يا الهي ما أسخف هذا السؤال؟»
«هل أنت سعيد اذن؟»
«بالطبع انني سعيد جداً، وما هي مشاعرك أنت؟»
رفعت روث كتفيها معبرة عن فرح وقالت:
«أنا مسرورة جداً، فكم تقت لأشعر بطفلك ينمو داخلي».
وحضنها باتريك بشدة معبراً عن كل مشاعر المحبة والسعادة... ثم أخذ ينظر اليها بينما راحت روث تهمهم بسؤال:
«أود أن أسألك شيئاً كان يؤرقني منذ زمن بعيد».
«اسألي ماتشاءين».
«انه... انه عن لينا».
«ماذا عنها؟»
«جاءت اليّ في المستشفى ونوهت عن علاقة بينكما، آه انك تعرف ماذا سأسألك».
أمسك باتريك رأسها وقال:

«هل قالت بأننا أكثر من صديقين؟»

هزت روث رأسها بالايجاب ثم تابع باتريك كلامه:

«هل تصدقين اذا قلت لك بأن لينا لاتعني لي أكثر من طفلة محتاجة الى والد أفضل من والدها؟»

أجابته روث:

«نعم اصدقك».

ثم سألها باتريك:

«هل هذا بالفعل ما وددت أن تعرفيه؟ ألم أخبرك أيضا بأنها تعلم بأنك حامل قبل الزواج؟»

أجابت روث بدهشة:

«نعم، وكيف عرفت ذلك؟»

«جاءت اليّ من المستشفى بعد أن زارتك واخبرتني ما حصل معتقدة أن هذا ربما يسرني».

«ولكن كيفَ عرفت؟ هل أخبرتها؟»

«هل هذا معقول؟»

«لا، ولكنك أخبرت جون».

«ولكنني أخبرتك لماذا. لم اخبر لينا بأي شيء بتاتاً. ولكنها ادركت ذلك وحدها. فكّرت بأنك لم تحملي في هذه الفترة القصيرة لتجهضي، واعتقدت لهذا السبب أننا تزوجنا».

تطلعت روث الى باتريك بلهفة ومحبة:

«آه باتريك. شكراً لاعلامك اياي هذا، ولكن لماذا لم تخبرني به من قبل؟»

«هل تقصدين أنني اشجع لينا لتأتي الى البيت في غيابك؟»

أجابته روث:

«أعترف بأنني كنت خائفة أن أجدها هناك».

طبع باتريك قبلة محبة وقال:

«لو رغبت في الزواج من لينا لفعلت ذلك قبل ذهابي في اجازة الى انكلترا لمدة ٣ أشهر. أليس كذلك؟»

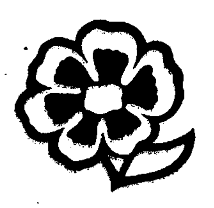
أجابته روث وهي تخفي سعادتها:

«أعتقد أن هذا صحيح، فكل ما هنالك أن الغيرة كانت تأكلني».

أجابها باتريك وهو ما يزال ممسكا ذراعها:

«وأنا كذلك غيور. دعينا ننسى الماضي ونبدأ بالتخطيط لمستقبل جميل فلدينا الكثير لنفعله...»

الباقة: المقبلة من عبير



الكذبة

تأليف روزماري كارتر:

آدم اعتبر نفسه الزوج المخدوع فغضب غضباً شديداً وحوّل حياة ليزا الى جحيم لا يطاق. جدران الكذب ارتفعت فلم تجد ليزا بداً من الهرب في الوحول الشتائية. فهل تنجح المحاولة ام تعود لتقضي عقوبتها لمدة ستة اشهر قبل طلاقها من آدم وحصولها على حريتها؟

مِنَ القلبْ ... إلى القلبْ



مـن خلال رسائـل القراء الاعزاء
تبين لنـا ان البعض لا يحصلون عـلى
روايـاتهم المفضلة لأسباب مختلفـة منهـا
وجـودهم في بلدان ليس لنـا فيهـا فـروع
توزيع، كما ان بعض القراء فاتهم الحصول
عـلى روايات سبـق انزالها وسحبها من
الاسواق. في هـذه الحـالات نـرجـو
الكتـابـة الـى مـوزعنـا الرئيسي في
بيروت: الشركة اللبنانية لتوزيع
الصحف والمطبوعات بيروت
لبنان–قسم الاشتراكات
ص.ب: ٦٠٨٦–١١
لكـم دائمـاً
عبير

